الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د. مولاي الطاهر- سعيدة-

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

الشعبة فلسفة

تخصص فلسفة إسلامية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في الفلسفة الإسلامية

بعنوان :

النص والتأويل

نصر حامد أبو زيد أنموذجا

إعداد الطالب :

غالم محمد

إشـــراف:

د- كفيف فاطمة - ز-

أعضاء لجنـة المنـاقشـة

الأستاذ	مؤسسة الانتماء	الصفة
أ - دين بن دوبة	جامعة سعيدة	رئيسا
د - بركات عمار	جامعة سعيدة	مناقشا
د- كفيف فاطمة - ز -	جامعة سعيدة	مشرفا ومقررا

السنة الجامعية 1437 هـ - 1438هـ/2016م-2017م

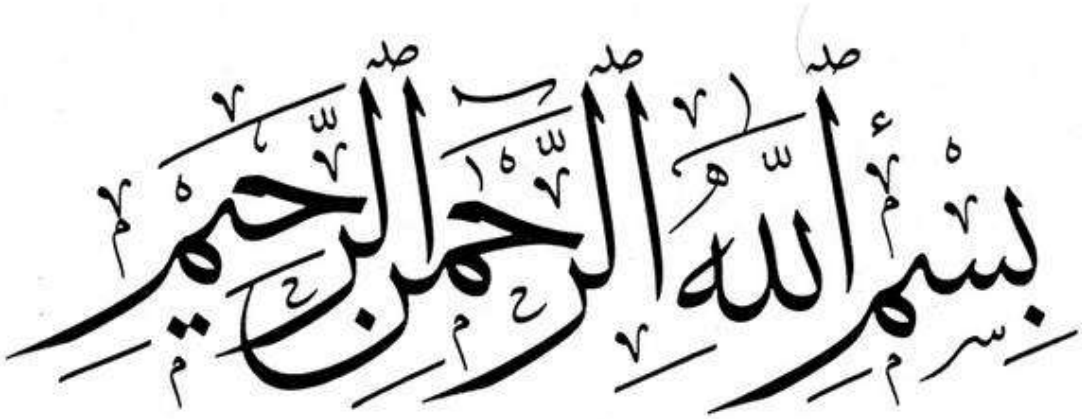
بسم الله الرحمن الرحيم

* إلى الوالدين الكريمين: رب ارحمهما كما ربياني صغيرا .

* إلى زوجتي العزيزة وإلى فلذات كبدي: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين .

* إلى من علمني القرآن : رب اجعله من أهلك وخاصتك .

* إلى من علموني التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي والجامعي جزاهم الله خيرا .

* إلى من أحبوني في الله وأحببتهم فيه .

* إلى الأسرة التربوية وخاصة مؤسستي التي وفرت لي أجواء مواصلة هذه الدراسة .

... إلى هؤلاء جميعا أهدي هذا العمل المتواضع ليكون في ميزان حسناتهم .

* الشكر لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا .

* ومن شكر الله شكر من يستحق الشكر، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله .
وأخص بالشكر الدكتورة المشرفة على هذا البحث، الدكتورة كفيف التي ساعدتني وأولتني كل الثقة لإنجاز هذا البحث - و بكل تواضع - فهي – كالعادة – تلقاك بابتسامته ووجه طلق بشوش ، أدام الله عليها عافيتها .

* والشكر لكل من أعانني، من قريب أو بعيد ، أو ساهم بشكل أو بآخر، ولو بمعلومة

* كما أن الشكر موصول لأساتذة ماستر 1 وماستر2 في الفلسفة الاسلامية .

* والشكر لجميع المسؤولين في جامعة الدكتور مولاي الطاهر .

مقدمة

لقد تواترت الدراسات القرآنية التي تعني بتأويل الخطاب القرآني و تكاثرت ، وتطورت مباحثها ، واتسعت مجالاتها حتى غدا مصطلح " التأويل " على أيامنا مصطلحا تتقاسمه كثير من العلوم والفنون .

ففي مجال الأدب ، فقد تهافتت عليه كثير من الدراسات النقدية العربية حتى غدا هذا المصطلح " درجة " استأثرت باهتمام الراصدين للحركة التطورية للنقد العربي المعاصر.

وإذا كانت " جماليات التلقي " وراء الهالة التي لازمت مفهوم القراءة ، فإن الهيرمنيوطيقا – بما يكتنفها من ضبابية وغموض – وراء كثير من الملابسات التي خالطت مصطلح التأويل ، واعترت كتاباته .

ومن تلكم المحاولات المعاصرة التي سعت إلى تأويل الخطاب القرآني تأويلا حديثا يتماشى ومعطيات المناهج النقدية الحديثة نقدا و تحليلا ، محاولة الأستاذ نصر حامد أبو زيد التي سعت إلى تقديم قراءات عميقة لمفهوم النص وتأويليته بوصفه مرتكز المعرفة ، ومصدر إنتاج الثقافة والحضارة عموما .

ولما كانت حاجة العصر تقتضي سلوك درب البحث العلمي الأكاديمي ، والابتعاد عن الأحكام المسبقة لمجرد سماع قول أو رأي قد توافقه أو تخالفه ، اتَّجه النَّظرُ إلى فحص أوجه الإفادة من فكر الأستاذ نصر حامد أبو زيد.

و قد وقع الاختيار على بحثٍ أتقدَّم به لنيل شهادة الماستر في الفلسفة الإسلامية **الموسوم بـ:** " النص والتأويل – نصر حامد أبو زيد أنموذجا – " راجياً من المولى عز وجل التوفيق والسداد إنه ولي ذلك والقادر عليه .

1-أسباب اختيار الموضوع :

الأسباب الموضوعية :

إن تواتر الدراسات القرآنية التي تعنى بتأويل الخطاب القرآني وتكاثرها ، وتطور مباحثها ، واتساع مجالاتها ، جعل مصطلح التأويل على أيامنا مصطلحا تتقاسمه كثير من

العلوم والفنون ، فنجد دراسات فلسفية تهتم بالتأويل ، وكذا دراسات أدبية ولغوية .
وأصبح التأويل محط اهتمام بعض المفكرين المعاصرين ، وظهرت كثير من الدراسات والبحوث الجامعية الأكاديمية تهتم بالنظرية التأويلية وربطوا بينها وبين الهيرمنوطيقا اليونانية – رغم ما يكتنفها من ضبابية وغموض – فكان وراء ذلك كثير من الملابسات التي خالطت مصطلح التأويل واعترت كتاباته .

واسترعت كتابات المفكر المصري نصر حامد أبو زيد اهتمامي في الآونة الأخيرة – بعد توجيهي من طرف أستاذي الفاضل بن دوبة – فوجدت بعد البحث حجم الرواج الذي يلقاه خطابه النقدي في الوسط الأكاديمي الأوروبي في بعض الدراسات وأخص بالذكر الجامعات الهولندية " أمستردام " و" ليدن " و " يوفي آيش " حسب ما وجدت في الشبكة العنكبوتية ، هذا بغض النظر عن النقاشات التي أثارتها أطروحاته في وسط المفكرين والمثقفين العرب ، وبغض النظر – أيضا – عن الضجة الإعلامية التي اندلعت عقب محاكمة وتكفير نصر أبو زيد . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فقد لاحظت في خطاب هذا الباحث جرأة في الطرح ، وصرامة في التحليل ، وبعدا عن الاستسلام والركون إلى الإجابات الجاهزة ، ورغبة في التساؤل والشك ، ودعوة إلى إعادة النظر في كثير من المسائل العقائدية الشائكة والمحورية في الوقت نفسه . مما دفعني إلى التفكير بجدية في دراسة " مفهوم النص والتأويل عند نصر حامد أبو زيد " وتفحصه عن قرب بعيدا عن الأحكام المسبقة .

ولما كان الشأن كذلك فقد كان العزم مني على خوض مضمار هذا البحث .

ب-الأسباب الذاتية:

ميولي إلى مثل هذه الدراسات التي تجعل الباحث يمشي بخطى ثابتة في الحقل المعرفي عموما ، وفي الجانب الشرعي خصوصا .

- حب كل ما هو جديد، وحب الإضافة ، وترك البصمة النافعة ، هو من وراء كل عمل يسعى إلى اكتساب المعارف من أصولها والحقائق من مصادرها .

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية الموضوع من خلال ما يتناوله من طرح متعلِّق بقضايا في مجالات التأويلية الفلسفة من جهة ، وعلوم القرآن من جهة أخرى .

فلاشك أنَّ النَّظر في علوم القرآن ، وكذا النظر في علم التأويل هو مما كان ذا بال ، خاصة أنه يتعلق بالقرآن الكريم ، والكتب المقدسة ، فإذا كان التأويل في الفكر الإسلامي لا يخرج عن دائرة التطابق بين النقل والعقل ، لم يؤد إلى قطيعة فإن ذلك لم يؤد إلى قطيعة ولا إلى اتفاق عبر مراحل زمنية كلامية أو فلسفية أو صوفية أخلاقية .

غير أن الأمر يزداد خطورة وتعقيدا عند إخضاع الجانب العقدي والغيبي في الإسلام إلى نتاج الفكري الإنساني .

ربما لا نستطيع أن نجد من يعترض على عملية التأويل وربما ضرورتها ، ولكننا سنجد الكثير ممن يعترضون على مستويات التأويل ، وأماكنه أو ربما طريقة ممارسته . سنقف في هذا البحث عند واحدة من أهم المشكلات في الفكر العربي المعاصر ألا وهي مشكلة التأويل .

3- أهداف الموضوع :

مشكلة التأويل مشكلة قديمة جديدة في آن واحد معا قد يصعب تحديد تاريخ بدء هذه المشكلة ، أو على الأقل سيكون من الصعب والمعقد الاتفاق على تحديد بدء هذه المشكلة ،فلعلنا سنجد من يعيد بدء ظهور التَّأويل ممارسة ومشكلة إلى فهم إبليس أمر ربه السجود لآدم، ثُم مخالفة آدم أمر ربه في الاقتراب من تلك الشَّجرة.

مثالان لن يكون هناك أقدم منهما في ظهور التَّأويل ممارسةً ومشكلةً ، ولكنهما قد يوجد من يقبل بهما مثالين على ظهور التَّأويل ممارسة ومشكلة فإنه سيوجد من يعترض على ذلك ، ولكن مهما بلغ الاعتراض من مدى فإنَّه لن يحول دون القول بأن مشكلة التأويل موغلة في القدم إلى درجة يكاد يكون من المتعذر معها تحديد نقطة البداية .

ولكن أين تكمن مشكلة التَّأويل الأساسية ؟ هل هي في مفهوم التَّأويل أم في ممارسته؟ هل هي في شخص المؤول و قراءته ، أم في النّص المؤول بحد ذاته ؟ . إن الهدف من البحث هو إلقاء نظرة على مفهومي النص والتأويل عند المفكر العربي نصر حامد أبو زيد الذي أسال طرحه كثيرا من الحبر فكتبت في فكره مقالات وألقيت محاضرات وعقدت ندوات .

4- إشكاليــة البحث :

تنطلق هذه الدراسة من أسئلة تثار داخل الذهن لتجد تصورات خارجه . وقد تمحورت إشكالية هذا البحث في سؤال رئيسي ، وأسئلة أخرى تفرعت عنه :

- فأما الأولى فهي تتمثل في طرح التساؤلات الآتية: ما هو التأويل ؟ وما هي الهيرمنيوطيقا ؟ وهل بينهما علاقة ؟ وهل يعتبر الفهم وجها من أوجه الهيرمنيوطيقا ؟ وهل للتأويل ضوابط أم أنه يسمح لكل من هب ودب أن يخوض في تأويل النصوص ونقدها و إبداء الأراء إزائها ، وهذه التساؤلات تقودنا بالأساس إلى معرفة مفهوم النص عند الأستاذ نصر حامد أبو زيد وكذا التأويل عنده .

- وأما ما يتفرع عنها، فهي تصورات وتساؤلات تعالج تجليات البحث وهي كالآتي:

- هل ينبغي أن نقرر معا أن النص القرآني والنبوي قد تضمن بشكل كامل حلول جميع الحالات التي يمكن أن تواجهنا ، وأن من الواجب أن نتمسك بالنص من غير أن نذهب بعيدا في تأويلية النصوص ؟- أم أنه علينا أن نقول أن نصوص الشريعة لما كانت محدودة محصورة ، فإنه لا يمكن أن نتنبأ بجميع الحالات ، ففي هذه الحالات لا يمكن

التعلق بالنص وأنه ينبغي علينا اللجوء إلى الهيرمنيوطيقا لبحث مشاكل العصر المتجددة، ومن المناسب أن نستنجد بروحه وبمقصده .

5- صعوبات البحث :

- مواجهة مجموعة من الأفكار المتعددة والمتداخلة ، فالبعض يربط التأويل بالهيرمنيوطيقا والبعض الآخر يأبى ذلك ويعتبر الهيرمنيوطيقا فكر يوناني لا علاقة له بالنص القرآني ولا بالتراث الإسلامي ، وهذا يستدعي الاطلاع على مفهوم التأويل والهيرمنيوطيقا وما كتب في ذلك ، والاطلاع على الكتب التراث الإسلامي ومعنى التأويل عند اللغويين و الأصوليين والمتكلمين والمفسرين وما قيل عن التأويل عند الفلاسفة والمفكرين .

- عدم تمكني من الحصول على الدراسات التي أجريت حول نصر حامد أبو زيد ، فأكثرها هي ندوات ألقيت حول أفكاره وليست مطبوعة .

- ضرورة التمهيد لهذا الموضوع ، وقد يأخذ حجما إذا فرغ من التحكم ، لكن هي مستلزمة بناء النتائج على المقدمات التمهيدية خاصة منها التاريخية.

6-الدراسات السابقة:

* في تاريخية النص القرآني عند : " نصر حامد أبو زيد " شهادة الماجستير تخصص نظرية الأدب وقضايا النقد إعداد الطالبة : أسماء حديد .

* التأويل في كتابات نصر حامد أبو زيد ، بحث الأستاذة ليلى شكورة ، جامعة محمد خيضر – بسكرة .

* التأويل الديني المعاصر وحوار الحضارات – دراسة مقارنة – إعداد دكار محمد أمين مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة .

و لقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الاستقرائي دون أن أهمل الاستفادة من المناهج الأخرى وعلى رأسها المنهج المقارن وهذا خاصة في المبحث الأخير .

وأخيرا لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذتي الدكتورة كفيف فاطمة الزهراء على إشرافها الهادئ و ثقتها الزائدة في ، وإلى كل أعضاء اللجنة العلمية لجنة المناقشة الموقرة .

الفصل الأول:

المبحث الأول : مدخل مفاهيمي للتأويل

المبحث الثاني : النص الديني

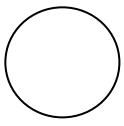

المبحث الأول :

مدخل مفاهيمي للتأويل

توطئة :

لا بد لكل باحث من ضبط المجال الذي يدور فيه ، والمفاهيم العاملة التي يعتمد عليها ، فيتعين بذلك موقعه من الدراسات والاختصاصات المتنوعة المتداخلة ، بحيث يتمكن المتلقي – جراء ذلك – من ضبط المفاتيح التي تسمح له بالولوج في البحث ، وهي مفاتيح قائمة على تلك المفاهيم بطبيعة الحال ، وهذه ضرورة ابستيمولوجية معروفة .

و لعل من الأجدى قبل الشروع في عرض مفهوم " النص والتأويل عند نصر حامد أبو زيد " الكشف عن مفهوم التأويل لغة واصطلاحا ، ثم محاولة التمييز بينه وبين مصطلحات تمازجت به ، وغرفت من منبعه .

مفهوم الـتأويل:

لا يمكن للإنسان أن يخوض في أي علم من العلوم ويحكم عليه إلا بعد أن يقف على حد هذا العلم وتعريفه، فيتصوره تصوراً صحيحاً سليما فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، والطريق إلى التصور الصحيح، هو التعريف السليم، الذي يوضح المراد من المعرف ويشرحه. وتعتبر الظاهرة التأويلية ضاربة في أعماق تاريخ الثقافة الإنسانية لأنها ظاهرة محايثة بطبيعتها لوظيفة اللغة باعتبارها نظاما من العلامات وملازمة أيضا لوظيفة الفكر باعتباره نشاطا يهدف إلى استنكار مدلول تلك العلامات .

1- التـــأويـــل لغـــة:

قال صاحب القاموس المحيط : " وأوله إليه رجعه ...وأول الكلام تأويلا ، وتأوله دبره وقدره ونشره والتأويل عبارة الرؤيا "." و آل يؤول أي رجع. قال يعقوب:يقال" أول الحكم إلى أهله" أي أرجعه و رده إليهم "[1] .

ورد في لسان العرب مادة (أ و ل) : " الأول : الرجوع ، آل الشيء يؤول أولا ومآلا : رجع . وأول إليه الشيء رجعه . وألت عن الشيء : ارتددت "[2] و قد أطال ابن منظور - رحمه الله تعالى – النفس في بيان معنى هذه الكلمة ، وأهم ما تحيل إليه كلمة (أول) هو الرجوع ، وتفيد أيضا الارتداد .

---

[1]- الفيروز آبادي :القاموس المحيط –دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت –لبنان –ج 3 -1983-ص331 .

[2]- ابن منظور : لسان العرب - دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- ط3 ، 1993 – ج 11 ص 33 .

أما جميل صليبا فيرى أن التأويل مشتق من الأول ، واستنادا إلى ذلك يرى أن التأويل " في اللغة هو الترجيع " ، ويتابع بأننا نقول : " أوله إليه رجعه " [1] وهذا المعنى هو الأصل اللغوي.

2- التـــأويـــل اصطـــلاحـــًا:

و المقصود بـ (اصطلاحًا) إذا أطلقت بحسب العلم الذي نتكلم فيه هو ما اصطلح عليه أهل ذلك العلم فيما بينهم تحديدًا له كما قال الناظم:

إنَّ مبـادئ كـلِّ علم عَشَرَةْ الحد والموضوع ثم الثمرة

فتعريف التأويل اصطلاحًا هو حده عند أهل الأصول و معهم علماء الكلام كذلك.

قال أبو الحسن الآمدي – رحمه الله تعالى : التأويل " هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتمال له، بدليل يعضده » "[2].

و لعَـــلَّ أوضح تعريف له هو تعريف أبي محمد يوسف ابن الحافظ أبي الفرج بن الجـــوزي رحمهما الله تعالى قال: « التأويل صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لاعتضاده بدليل يدل على أن مراد المتكلم بكلامه ذلك الاحتمال المرجوح "[3].

كما يقدم لنا ابن رشد مفهوما بديعا للتأويل حين يقول : " ومعنى التأويل هو إخراج النص من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية ، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من حيث تسمية الشيء أو تشبيهه بسببه ، أو لاحقه ، أو مقارنه ، وإذا كان الفقيه يفعل ذلك في كثير من الأحكام الشرعية ، فكم بالحري أن يفعل ذلك صاحب علم البرهان ، فإن

[1]- جميل صليبا : المعجم الفلسفي – الشركة العالمية للكتاب – بيروت لبنان – 1994 – ج1 ص234 .

[2]- الآمدي - الإحكام في أصول الأحكام – دار الصميعي – 2003 - المملكة العربية السعودية - ج3 – ص 48 .

[3]- أبو محمد يوسف ابن الحافظ أبي الفرج بن الجوزي – الإيضاح لقوانين الإصلاح – مكتبة مدبولي – مصر – 1995 - ص20.

الفقيه إنما عنده قياس ظني ، والعارف عنده قياس يقيني ، ونحن نقطع قطعا أن كل ما أدى إلى البرهان ، وخالفه ظاهر الشرع ، ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي " [1] .

و باقي تعريفات أئمة الأصول و الكلام متقاربة ، إذ كلهم يحومون حول معنى واحد.

أما في علم التفسير ، والذين وقفوا على تفسير آية التأويل في سورة آل عمران "... وما يعلم تأويله إلا الله ... " رأوا أن التأويل يعني التفسير ، بينما نجد أن بعض المفسرين الآخرين وعلماء القرآن يرون خلاف ذلك ويقدرون أن هناك فوارق بين المصطلحين ، لخص ذلك صاحب البرهان الإمام الزركشي قائلا : " قال الراغب التفسير أعم من التأويل ، وأكثر استعماله في الألفاظ ، والأكثر استعمالا التأويل في المعاني ، كتأويل الرؤيا ، وأكثره يستعمل في الكتب الإلهية ، والتفسير يستعمل في غيرها ، والتفسير أكثر ما يستعمل في معاني مفردات الألفاظ " [2] .

فيبدوا من خلال هذا الشرح أن التأويل مرتبط بالمعاني ، أما التفسير فمرتبط بالألفاظ والمفردات . وإذا كان هذا فالتأويل له ارتباط بإعمال العقل والاجتهاد في استنباط المعاني والأحكام من النصوص في مقابل التفسير الذي يتعلق بالرواية .

يقول محمود محمد ربيع : " ما وقع مبينا في كتاب الله ومعينا في صحيح السنة سمي تفسيرا لأن معناه قد ظهر ووضح ، وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعداه ، والتأويل ما استنبطه العلماء العاملون لمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم ".[3]

أما جميل صليبا فيرى أن التأويل مشتق من الأول ، واستنادا إلى ذلك يرى أن التأويل " في اللغة هو الترجيع "

[1]- نصر حامد أبو زيد : الخطاب والتأويل - المركز الثقافي – الدار البيضاء – المغرب الأقصى – ط1 – 2000 م .
[2]- الزركشي : البرهان في علوم القرآن - تح :محمد أبو الفضل إبراهيم –دار الجيل بيروت –لبنان – 1988 – ج2 –ص 149 .
[3]- محمد محمود ربيع : أسرار التأويل – الهيئة المصرية العامة للكتب - مصر – 1993 – ص 45 .

لكن ههنا أمر هام أحب أن أذكره ، نبه عليه الإمام أبو العباس أحمد بن تيمية – رحمه الله تعالى – قال في « **مجموع الفتاوى** » : « ... لفظ التأويل قد صار بسبب تعدد الاصطلاحات له ثلاثة معان :

أحدها: أن يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام و إن وافق ظاهره، و هذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب و السنة. كقوله تعالى: **(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلهُ * يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق)** (الأعراف: 52) ، ومنه قول عائشة : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه و سجوده: سبحانك الله ربنا ولك الحمد ، اللهم اغفر لي . يتأول القرآن ".

و الثـاني: يراد بلفظ التأويل : التفسير، و هو اصطلاح كثيرمن المفسرين. و لهذا قال مجاهد– إمام أهل التفسير – إن (الراسخين في العلم) يعلمون تأويل المتشابه ، فإنه أراد بذلك تفسيره و بيان معانيه ، و هذا مما يعلمه الراسخون .

و الثالث: أن يراد بلفظ (التأويل) صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك لدليل منفصل يوجب ذلك . و هذا التأويل لا يكون إلاَّ مخالفًا لما يدل عليه اللفظ و يبينه . و تسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف السلف ، وإنما سمّى هذا وحده تأويلاً طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه و أصوله و الكلام ، وظن هؤلاء أن قوله تعالى : **(و ما يعلم تأويله إلاَّ الله)** (آل عمران: 7) ، يراد به هذا المعنى ، ثم صاروا في هذا التأويل على طريقين ...إلخ» ."[1]

الفهم :

لو رجع الناظر إلى لسان العرب لوجد أن أصل مادة (ف هـ م) تعني : " معرفتك الشيء بالقلب . فَهِمَه فَهْماً وفَهَماً وفهامة : عَلِمَه .. وفَهِمْت الشيء : عَقَلْتُه ، وعرَفْتُه "[2].

يقول الدكتور عادل فاخوري " إن الفهم هو نمط خاص من الأفعال الإنسانية ، يتم به التمييز بين الأحداث الإنسانية التي تستهدف غاية ما ، عن غيرها من الأحداث "[1] .

[1]- أبو العباس أحمد بن تيمية : مجموع الفتاوى – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية – 2004 -ج4 – ص 68 .
[2]- ابن منظور : لسان العرب .

فالفهم عند شلايرماخر بوصفه فهما ، هو عملية إعادة معايشة للعمليات الذهنية لمؤلف النص . فالمتحدث أو المؤلف يبني جملة ، وعلى المستمع أن ينفذ إلى داخل بناء الجملة ، وبناء الفكرة ، وبذلك يكون التأويل من لحظتين متفاعلتين : اللحظة اللغوية واللحظة السايكولوجية (بالمعنى العريض لكل مل تشتمل عليه الحياة النفسية للمؤلف)[2] حيث يضطلع التأويل اللغوي بتحديد المعنى وفقا لقوانين موضوعية عامة ، بينما يركز الجانب السايكولوجي من التأويل على ما هو ذاتي فردي ..." [3]

أما عند عند "دلتاي" : " هو أوَّل ما يُميِّز العلوم الإنسانية في تعارضها مع العلوم الطبيعية، وهو ما يسمح بفك شفرة الإشارات والتعبيرات ، " فالفهم هو الاسم الذي يُطلَقُ على العملية التي تُصبح بها الحياة العقلية معروفة من ثنايا تعبيراتها المُعطاة للحواس ".[4]

إنّ الأساس الذي استند عليه" دلتاي" ، في محاولته الرَّامية للتَّمييز بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية ، هو تمييز في الحقيقة بين التفسير "ومجاله العلوم الطبيعية ، و"الفهم " وميدانه الإنسان ، وهذا الأمر تؤكده المقولة المشهورة له :

« Nous expliquons la nature mais nous comprenons la vie de l'âme»

" نحن نفسر الطبيعة ، أما الإنسان فعلينا فهمه" "[5].

إذن فالفهم يتعلق بالإنسان ، أو بالأحرى بالعلوم الإنسانية وما تنتجه من أفكار ، ولفهم هذا الفهم لابد من الاعتماد على النظرية التأويلية .

---

[1]- د عادل فاخوري:تيارات في السيمياء دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت - لبنان – ط1 – 1990 –ص90.

[2]-عادل مصطفى : فهم الفهم مدخل إلى الهيرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير- رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة الطبعة الأولى - 2007 - ص99 .

[3] - المرجع نفسه ص104 .

[4]- صلاح قنصوة :الموضوعية في العلوم الإنسانية- عرض نقدي لمناهج البحث - دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع 2007-ص177 .

[5]- Dilthey Whelheilm: Critique la raison historique, introduction à l'étude aux sciences de l'esprit, op, cit, p37

فالنظرية التأويلية أو نظرية الهيرمنيوطيقا تعتمد على الفهم النصي في أبعاده المختلفة سواء كانت هذه الأخيرة خفية ، أو متجلية ، ولذلك نجد غادامير في كتابه الحقيقة والمنهج والذي يمثل الاتجاهات الكبرى في فن التأويل الفلسفي وهو عبارة عن ثورة إبستمولوجية في قضايا التأويل المعاصر، يذكر عبارة مختصرة في لفظها ولكنها لها دلالات عميقة فهو يعتبر: " أن كل فهم هو تأويل "[1].

أما هايدغر فيرى أن الفهم :" هو قدرة المرء على إدراك ممكنات وجوده ضمن سياق العالم الحياتي الذي وجد فيه ، فالفهم ليس موهبة خاصة أو قدرة معينة على الشعور بموقف شخص آخر فالفهم يعد أساسا للغة ، والتأويل هو إظهار الفهم والتصريح به ، ومن هنا فالهيرمنيوطيقا تأخذ بعدا أنطولوجيا . "[2]

إن الفهم عند هايدغر مصطلح خاص" يتجاوز بنية مسبقة معينة تفعل فعلها في كل تأويل ، وبهذا التوكيد على البنية المسبقة للفهم ، يتجاوز هايدغر النموذج القديم للموقف التفسيري (نموذج الذات والموضوع ، لأن النص عنده صار تجربة وجودية تتجاوز الإطار الذاتي والموضوعي). [3]

ويرى غادامير أن الفهم ينقسم إلى قسمين :

- أ) الفهم الجوهري: وهو فهم محتمل الحقيقة .
- ب) الفهم القصدي : وهو فهم مقاصد وأهداف المؤلف

والفهم القصدي عند غادامير أو كما يسمى في علوم الشريعة الفهم" المقاصدي " هو الموضح والمكمل للفهم الجوهري ، وقد اعتبر علماء المقاصد أن للشريعة حكم ومعان

[1] . Vérité et méthode des grandes lignes dune herméneutique philosophique- traduction française Hans Georg Gardner - éditions de seuil.1996 .p411.

[2] - مجلة فكر ونقد : العدد25 – جانفي 2000 – محمد شوقي الزين –كلافيس هيرمنيوطيقا – مفتاح التأويل في قراءة التراث الإنساني .

[3] - أحمد معتصم السيد :الهيرمنيوطيقا في الواقع الإسلاميين حقائق النص ونسبية المعرفة – دار الهدى بيروت الطبعة الأولى 2009 – ص47 .

وغايات أرادها الشارع ، وليس بالضرورة أن تظهر في سائر أنواع الأحكام ، إذ هناك أحكام تعبدية لا يلجأ العلماء إلى بحث في مقصد الشارع من تشريعها .

الهيرمنيوطيقا : Herméneutique

يعتبر موضوع " الهيرمنيوطيقا " أهم أحد القضايا التي يجب أن تدرس دراسة دقيقة حتى تتم عملية التقييم بشكل علمي ومنهجي حتى لا يتم اختزال المواقف الفكرية والمنهجية في مجرد انفعالات عاطفية ، تحجب الحقائق

والهيرمنيوطيقا مصطلح من أصل يوناني وترجع نسبته إلى "هرمس" (Hermes). "[1] " الذي كان يتقن لغة الآلهة ثم يترجم مقاصدها و ينقلها إلى بني البشر، و هو إذ يفعل هذا كان عليه أن يغبر المسافة الفاصلة بين تفكير الالهة و تفكير البشر، فهو إذن يحمل النبأ الجلل...و لا يمكن أن يكون الإنسان (هرمسيا) ـ أي حاملا للرسالة ـ إلا إذا كانت له القابلية لعملية التجلي " [2] .

وقد ارتبط هذا المصطلح عند الغربيين بفن التأويل"[3] ، وعند النظر إلى المعاجم الأجنبية نجد أن كلمة التأويل "Interprétation" هي : (expliquer un texte dont le sens n'apparait pas avec évidence) "[4] أي شرح نص لا يظهر معناه واضحا .

أما (Herméneutique) الهيرمنيوطيقا فهو مصطلح يقابل التأويلية المشتقة من التأويل يقول أندريه لالوند "Andrée Lalande" : L'interprétation "Herméneutique des textes philosophiques ou religieux et spécialement la bible "[5]"

أي الهيرمنيوطيقا : هي تأويلية النص الفلسفي أو الديني وخاصة الإنجيل (النص المقدس)

[1] ـ دحامنية مليكة : هيرمنيوطيقا النص أو فلسفة تأويل النصوص - محاولة لتحديد المصطلح – المركز الجامعي البويرة – بحث على النت .
[2]- عادل مصطفى : فهم الفهم – مدخل إلى الهيرمنيوطيقا – بيروت – دار النهضة العربية – ط1 -2003 ص34 .
[3]- محمد شوقي الزين : مفتاح التأويل في قراءة التراث الإنساني – مجلة فكر ونقد – السنة الثالثة – العدد 28 أبريل 2000 .
[4]- Le grand Larousse de la française – tome quatre – librairie Larousse – canada – 1975 – p2765 . langue
[5]- André Lalande –VOCABULAIRE Technique de la philosophie , presses universitaires de France , parieb2eme édition , 1976, p 412 .

إذن الهيرمنيوطيقا عند الغرب ترتبط بالنص المقدس القديم (الإنجيل) كما ترتبط بكل ما يتعلق بالعلوم الإنسانية من أنواع النصوص الأخرى ، ويترجمها بعض المفكريين العرب "بالتأويلية " . يقول عادل مصطفى : " ثمة عدة تعريفات مختلفة للهيرمنيوطيقا ، كما تطورت في الأزمنة الحديثة ، منذ البداية كانت الكلمة تشير إلى علم التأويل ، وبخاصة مبادئ التفسير النصي القويم " [1] .

وقد اتسع مجال الهرمنيوطيقا و أعطيت له دلالات أخرى مع شلايرماخر، فحول المصطلح من نطاق اللاهوت و تفسير النصوص الدينية ، إلى تفسير كل النصوص، وقدم هيرمنيوطيقا موضوعية Objective Hermeneutics تقوم على فهم الوسائط اللغوية التي يسلكها و يعتمدها المؤلف للتعبير عن فكره . يقول : " إن مهمة الهيرمنيوطيقا هي فهم النص كما فهمه مؤلفه ، بل أفضل مما فهمه " [2] .

" فعلى يد شلايرماخر تخلت الهرمنيوطيقا عن مهمتها الأولية المتمثلة في متابعة المعنى لتصب جل اهتمامها على وضع القوانين و المعايير التي تضمن الفهم المناسب للنصوص، أيا كانت هذه النصوص في تحققها الملموس" [3] .

والأمر الهام الذي تبحث فيه الهيرمنيوطيقا هو الحقائق المضمرة في النصوص ، وربما المطموسة لاعتبارات إيديولوجية ، مما جعل النشاط التأويلي يترسخ خاصة في الثقافة الدينية ابتداء بالثقافة اليهودية حيث تم استنباط قواعد لتأويل التوراة لغويا وعقائديا وشرعيا . "[4]

وكما يبدو فالهيرمنيطيقا أوجدت لحل المشكلات المتصلة بفهم النص الديني والعلاقة بين الشفهي والمكتوب في ذلك النص وبين العهد القديم والعهد الجديد فضلا عن عملية صياغة العقائد المسيحية ، وكانت تلكم الجهود التأويلية في مواجهة مع سلطة القراءة الأحادية للنصوص المقدسة (البابوية) ، إذ انعدمت الثقة تدريجيا في القراءة الواحدة وفي الاعتقاد

[1] ـ عادل مصطفى : فهم الفهم – مدخل إلى الهيرمنيوطيقا – بيروت – دار النهضة العربية – ط1 -2003 ص45 .
[2] ـ عادل سعيد توفيق: في ماهية اللغة و فلسفة التأويل، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، **2002**، ص**87**.
[3] ـ شرفي عبد الكريم: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ط **1** الدار العربية، بيروت لبنان **2007**.ص **24**.
[4]- قاموس المفاهيم الفلسفية ص 1130/1129، Dictionnaire des notion philosophiques .

بوجود معنى أوحد للوحي يمثل الحقيقة المطلقة ، فضلا عن عوامل التباعد اللغوي عن معنى الخطاب في أصل الوضع .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الهرمنيوطيقا بهذا الصدد تستوي فيها النصوص . فليس هناك أي مجال للفصل ما بين نص مقدس وآخر غير مقدس (مدنس).

والاستواء المقصود هنا ليس الاستواء من ناحية المضمون والطرح ، فبديهياً تختلف النصوص من هذه الزاوية . وفي ظل هذا السياق ينبغي التأكيد على أن التعاطي مع النصوص من ناحية المضامين والطروحات لا يهم الهيرمنيوطيقا لا من بعيد ولا من قريب، وإنما هو مدخل القراءة التقليدية أو النقد الأيديولوجي الذي يتعامل مع النص انطلاقاً مما يطرحه النص من أفكار ومضامين وتصورات وبالتالي ينحى نحو التخطئة والتصوبة . وفي المقابل فإن الهيرمنيوطيقا معنية بشكل أساسي بسؤال الفهم أو فهم الفهم نفسه ، ولذلك فمن هذه الناحية تستوي النصوص ، وهو الأمر الذي يجعلنا نميز ما بين التأويل وما بين الهيرمنيوطيقا ، فالتأويل هو محاولة ل(فهم) النص في حين أن الهيرمنيوطيقا ترمي إلى فهم (الفهم) في حد ذاته .

ضوابط التأويل :

هنالك مجموعة من الضوابط التي يشترط كبار منظري الهيرمنيطيقا توافرها في القراءة التأويلية من أجل أن تكون قراءة مؤسسة ومتينة ، ويمكن اعتبار هذه العناصر بمثابة شروط تؤسس جوهر القراءة التأويلية ، ولعل أبرز تلكم العناصر : "[1]

[1]- عبد المالك مرتاض : التأويلية بين المقدس والمدنس - عالم الفكر – بيروت – لبنان - سبتمبر 2000 – ص 263 .

أ – الفرضية :

عندما يعمد القارئ إلى تأويل نص ما ، فإنه ينطلق في قراءته من معرفة قبلية بالنص ، وتتقدم هذه المعرفة أبجديات الإدراك الجمالي ، ومن دونها يستعصي النص على الفهم ، وتستغلق معالمه ، حيث يسميها " هانس إينخن " بالفرضية ، والتي قد لا تكون واحدة فرضيات ، لا تثبت كيفما اتفق ، بل يجب أن تخضع لبديهيات العقل والمنطق ، يقول هانس : " إنني أدرك فهو تأويل النصوص كما سبق لماكس ويبر و ويليام دلتاي أن أكدا ، أي تكوين مشاريع فهم ، أي تكوين فرضيات ، ولأن الأمر يتعلق بفرضيات فلا بد من فحص معقوليتها ".

إذن نستخلص أن المعرفة الأولية بالنص – أي الفرضية – نستشرف عتبات التأويل ، ونخوض غماره متزودين بما يمكنه أن يبلغنا غايتنا " فنحن لا نتلقى النص في ظروف محددة ، بل نلتقيه خارج إطاري الزمان والمكان ، مدججين بجملة من الأسئلة التي تمثل الأساس الوجودي لفهم النص ومن ثمة تفسيره وتأويله ". "[1]

ب – المقصدية :

تمثل المقصدية عنصرا محوريا من العناصر المساعدة على ضبط القراءة التأويلية وتوجيهها ، فلا يمكننا أن ندعي تأويلا محددا ما لم نفترض سلفا قصد المؤلف الذي يعد محرك ذلك التأويل وموجهه ، وقد يكون من السخف تفسير النصوص بمعزل عن غايات أصحابها المنشئين لها ، وكأنها ليست مرايا تعكس أحوال أصحابها ، وما يعتلج في صدورهم.

فالتأويل الناجح حسب الأستاذ عبد المالك مرتاض هو ذلك الذي يحاول إعادة صياغة القصد الأصلي للمؤلف ويبين أهميته وكذا حقيقته ، وفي هذا السياق يقول الأستاذ : "هل يمكن قراءة

[1]- المرجع نفسه – ص 33 .

شعر عمران بن حطان في إطار مقصدية شعر امرئ القيس أو شعر حسان بن ثابت في إطار مقصدية عمرو بن ربيعة ". "[1]

السياق :

للسياق أهمية كبرى في القراءة التأويلة ، فأي نص لا يواجه معزولا عن سياقاته المنتجة له ، ولا يستقبل معزولا عن سواه من النصوص المماثلة له ، والمتمايزة عنه .

ويرى أحد الباحثين أن القراءة الهيرمنيوطيقية لها ثلاث سياقات : "[2]

1- السياق المقامي : ونمثل له بأسباب نزول آي القرآن الكريم .
2- السياق النصي : وهو ما كان خاضعا لعملية التركيب ، سواء على مستوى الجملة ، أم على مستوى الخطاب ، وبذلك يكون النص اللاحق (المؤول) خاضعا لمقتضيات السياق .
3- السياق الثقافي : ومفاده أن تأويل النصوص لا يتم إلا بإخضاعها لسياق ثقافي محدد ، فتأويل نص عربي مثلا يراعي الخصوصية الثقافية للنص وصاحبه ، ولابسات إنتاجه ، حتى لانقع في شرك إسقاط واقع ثقافي غريب على واقعنا .

وتجدر الإشارة هنا إلى ضرورة تأويل النص لا استعماله حيث يميل كثير من المشتغلين بالتأويل إلى استعمال النص وهم يزعمون تأويله ، وهي ظاهرة قديمة عرفتها الفرق الكلامية الإسلامية ، إذ تعمد هذه الأخيرة إلى تأويل النص القرآني انطلاقا من وجهة نظر المؤول ، الذي لا يكون هدفه وضع يده على المعنى المحتمل للنص بقدر ما يكون هدفه تأييد المذهب الذي ينتمي فكريا إليه . وقد عد العلماء هذا المذهب في التأويل فاسدا إذ يعمد أصحابه إلى لي أعناق النصوص لتعاضد مبادئهم

[1]- نفسه ص 37 .
[2]- محمد المقرن : في مفهومي القراءة والتأويل – مجلة عالم الفكر – ص38 .

الفكرية ، وتوجهاتهم العقائدية ، وقد عانت الحضارة المسيحية هي الأخرى من استعمال النصوص ولي أعناقها لتوافق آراء القساوسة ، ورجال الدين ، ولذلك صرح " دانتي " بالقول : " ينبغي أن نفهم النصوص انطلاقا من النصوص نفسها ، وليس اعتبارا للمذهب الديني الذي تنتمي إليه "[1] .

المبحث الثاني :

النص الديني

[1]- نصر حامد أبو زيد : إشكاليات القراءة وآليات التأويل - المركز الثقافي العربي – ط 2 – بيروت – لبنان – 1992 – ص 13 .

مفهوم النص :

من نافلة القول الإشارة، في هذا السياق، إلى أنّ الإشكال المبحوث فيه هو التمييز بين النص وفهم النص ، " حظيت إشكالية النصّ بنصيب مهمّ من التحليل بدءاً من ميلاده المزدوج ، والمقصود هنا بمصطلح الميلاد المزدوج للنصّ وجود لحظتين وُلد فيهما هذا الأخير، لحظة التلقي الأولى ، ثمّ لحظة التدوين النهائي المنظّم ، والتي جاءت بعد اللحظة الأولى بقرن ، وانتهت بعد ذلك بقرن كذلك. "[1]

يقال في اللغة نص الشيء رفعه و أظهره، و فلان نص أي استقصى مسألته عن الشيء حتى استخرج ما عنده، و نص الحديث ينصه نصا ، إذا رفعه ، و نص كل شيء منتهاه"[2]

و النص مصدر و أصله أقصى الشيء الدال على غايته أو الرفع و الظهور (ج .نصوص) و نص المتاع : جعل بعضه فوق بعض "[3] .

[1]- ياسين عبد الجواد : السلطة في الإسلام – العقل السلفي بين النص والتاريخ – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – ط2 – 2000م - ص 13 .

[2] – ابن منظور : لسان العرب ج7 –ص42 - 44 .

[3] – أحمد رضا : معجم متن اللغة – منشورات دار مكتبة الحياة بيروت – لبنان – 1380 ، 1960 – ج5 ص 472 .

و عند الأصوليين لقي هذا المصطلح اهتماما كبيرا باعتباره طرفا أو جهة من جهات معادلة

"علاقة اللفظ بالمعنى " و التي كان لها حظ الأسد من الاهتمام ، عندهم ، فنجدهم – جراء ذلك - أطلقوا على بعض الألفاظ مصطلحات عديدة تبعا لدرجات ظهور المعنى فيها و خفائه ، أما الذي يرتبط بوضوح المعنى ، فذلك هو الظاهر و النص و المفسر و المحكم.

و أما الذي يرتبط بغموض المعنى فذلك هو الخفي و المشكل و المجمل و المتشابه "[1] .

و مدار حديثنا في هذا المقام هو "النص الذي نجد فيه زيادة وضوح؛ إذ يفهم منه معنى لم يفهم من الظاهر" [2] و في هذا التعريف عودة للمعنى اللغوي للنص الذي يفيد الإظهار والبيان و الرفع. ومنه النص القرآني و نص السنة أي ما دل ظاهر لفظها عليه من الأحكام، إنه إذن اللفظ الدال على معنى لا يحتمل غيره ، فالنص ما ازداد وضوحا على الظاهر، لمعنى في المتكلم، و هو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى .. و النص ما لا يحتمل إلا معنى واحدا ، وقيل ما لا يحتمل التأويل . "[3]

و في تعريف آخر: " هو ما دل على معنى سيق الكلام لأجله دلالة تحتمل التأويل أو التخصيص أو النسخ ". "[4] بحسب ما تستقيه القرائن و المساقات ، و بناء عليه النص قسمان : أحدهما يقبل التأويل و هو نوع من النص مرادف للظاهر، و الثاني: لا يقبل التأويل و هو النص الصريح، كلفظ " خمس " [5].

و من الملاحظ أن المعنى يدور في كل ما سبق في النص عند اللغويين و النص عند الأصوليين، حول محاور هي:

1. الرفع.
2. الإظهار.
3. ضم الشيء.
4. أقصى الشيء و منتهاه.

---

[1] ـ السيد أحمد عبد الغفار : التصوير اللغوي عند الأصوليين – مكتبات عكاظ للنشر الإسكندرية ط1 1401، 1981 – ص 144 ، 145 .
[2] ـ المرجع نفسه ص 144 .
[3] ـ الجرجاني : التعريفات – دار الكتاب اللبناني – (المصري – بيروت)- القاهرة ط1 ، 1991 ص 251 .
[4] ـمحمود توفيق محمد سعد : دلالة الألفاظ عند الأصوليين – ص 367 .
[5] ـ السيد أحمد عبد الغفار : المرجع السابق ص 146 .

" و ما يمكن قوله على هذه الملاحظة أن الرفع و الإظهار يعنيان أن المتحدث أو الكاتب لا بد له من رفع نصه و إظهاره حتى يفهمه المتلقي . أما ضم الشيء إلى الشيء فهي إشارة إلى الاتساق و الترابط الحاصل بين الجمل ، إذ كل تعاريف النص تشترك في أن النص ضم الجمل بعضها إلى بعض بكثير من الروابط حتى تتسق . و كون النص أقصى الشيء و منتهاه ، فذلك تمثيل لكونه أكبر وحدة لغوية يمكن الوصول إليها . و بهذا ، فكأن التعريفات اللغوية المعجمية للنص تشترك و لو بحبل رفيع مع ما سيرد ذكره في التعريفات الاصطلاحية.

و في الاصطلاح ، تعددت مفاهيم النص بتعدد التوجهات المعرفية و النظرية و المنهاجية المختلفة ، و عليه فإن الاختلاف حول ماهية النص يكمن أساسا في اختلاف التصور، و الغاية من دراسة ، فحدود النص و نظريته ، و مفهومه يتجسد و يتبلور وفق تلك المنطلقات العديدة .

و النص – في الاصطلاح اللساني، لم يكن أوفر حظا من النص عند الأصوليين، فقد تعددت تعريفاته بتعدد وجهات النظر؛ حيث لم يكن مصطلح نص أسعد حالا ولا أوفر حظا من مصطلح جملة فثمة اختلاف شديد بين هذه الاتجاهات في تعريف النص ، إلى حد التناقض أحيانا، و الإبهام أحيانا أخرى .

فلا نجد له تعريفا يعترف به عدد من الباحثين في اتجاهات لسانيات النص بشكل مطلق ، لأنها اعتبرت فرعا علميا متداخل الاختصاصات ، من جهة . كما اعتبرت علما يركز على النصوص في ذاتها و على أشكالها و قواعدها و وظائفها و تأثيراتها المتباينة من جهة أخرى . إنها تعريفات تميل كلها إلى خلق حالة منسجمة من النظام و التشاكل و التماثل بين مختلف المستويات التكوينية و الصرفية و الصوتية و الدلالية للنص "[1].

أنواع النص المقدس :

[1]- فاضل ثامر : في إشكالية المنهج و النظرية و المصطلح في الخطاب النقدي العربي - المركز الثقافي العربي - المغرب - 1994، ص 45 .

النص المقدس ويعرف كذلك بالكتاب المقدس والأمر المقدس ، وهي إما سماوية كالديانات الإبراهيمية أو وضعية كالبوذية والزرادشتية والسيخية والكونفشيوسية وغيرها كثير ، وتعتبر هذه النصوص مقدسة في كل الأديان ، وهي متمحورة حول عقيدة الدين ذاته ، و تؤمن غالبية الأديان بأن كتبها المقدسة لها أصل إلهي أو قوى ما وراء الطبيعة والتي تم إنزالها أو وحيها بطريقة ما ، و تختلف المواقف من النصوص المقدسة ، فبعض الديانات تجعل من نصوصها المكتوبة متاحة بشكل واسع ، في حين ديانات أخرى ترى أن الأسرار المُقدسة يجب أن تُخفى ويقوم بالاطلاع عليها فقط رجال الدين والأولياء . إن مُعظم الديانات تسن سياسات صارمة لتحديد حدود نصوصها المُقدسة ، وتقوم بالتحكم أو النهي عن التغييرات والإضافات ، و تعرض غالبية الأديان نصوصها المقدسة على أنها " كلمة الله" ، وفي كثير من الأحيان تعتبر أن النصوص هي مستوحاة من الله وعلى هذا النحو لا مجال لإنسان أن يقوم بالتغيير أبداً .

ومع ذلك فإن اللغة الأصلية للنص هي ما تكون عادةً المرجع الحقيقي والمُطلق للنص .

القراءات التأويلية للنص (المقدس) الديني :

إن أكبر دافع من وراء ظهور القراءات الحداثية ، هو الإشكال الدلالي التي طرحته الكتب المقدسة على مستوى التلقي ، فتعدد نسخ الكتب المقدسة وتضارب الدلالة والمعنى في هذه النسخ . نتج و أسفر عنه نشأة علم نقد الكتاب المقدس "الهرمنيوطيقا . " [1]

وهذا الظهور لهذا العلم أدى إلى نتائج في غاية الأهمية والخطورة و من أبرز هذه النتائج: الإقرار والاعتراف بوجود عدة نسخ للكتاب المقدس واختلافها من حيث الكم والكيف. وهذا الاختلاف وصل إلى حد التعارض والتناقض بين هذه النسخ . الشيء الذي أدى إلى غياب الثقة في القراءة النموذجية للنص المقدس بسبب تباعد الدلالة اللغوية للألفاظ التي جاءت محمولة في هذه النسخ في وضعها الأصلي و ما أخذت توحي به هذه الألفاظ من معان جديدة ودلالات مستحدثة تبعا لاستعمال والتداول الجديد لها في التخاطب والتداول في اللغة المعاصرة " [2] .

ذلك أن كثيرا من الكلمات المستعملة في نسخ الكتاب المقدس لم تعد تحمل أية معنى أو دلالة . فهي من قبيل الألفاظ المبهمة والمهملة الذي لا تحمل أي معنى في التخاطب . من هنا كان هذا التباعد اللغوي في ألفاظ الكتب المقدسة من حيث دلالة ألفاظها ، والذي وصل أحيانا إلى الباب المسدود في الفهم . بحكم قدم المعجم اللغوي لهذه الكتب ، فهو معجم مبهم، غير متداول ، لم يعد مستعملا ، أو متداولا في التخاطب اللغوي المعاصر. فهذا الاعتبار كان من أكبر الدواعي التي ساهمت في نشأة حركة نقد النصوص الدينية [3] وللخروج من هذا الإشكال دعا أصحاب هذا الاتجاه إلى إعطاء المزيد من الحرية للقارئ والمتلقي حتى يمارس سلطته التأويلية على النص الديني سواء في قراءته أوفي تلقيه لهذا النص وذلك بأن يحمل المعاني التي جاءت في الكتاب المقدس على غير معناها الذي كانت عليه في التداول القديم ، وإنما يحملها على المعنى المتداول والمستعمل في الزمن الذي يتلقى في هذا النص."[4] ، لأن من شأن هذه الحرية للمتلقي أن تبعد الغموض وتزيل الإبهام وترفع الخفاء الذي لازم

[1]- حامد ناصر الظالمي : اسبينوزا وأثره في منهجية تحقيق النصوص عند المحدثين.مجلة أبحاث البصرة العدد :28.الجزء:1 - 2001 .
[2]- الدكتور رقية العلواني : أثر الظرفية التاريخية والفكرية في ظهور القرءانيين الجدد - جامعة الشارقة 2005. موقع الدكتورة .
[3] ــ د - عبد الرحمان بودلال الاتجاه الهرمنيوطيقي وأثره في الدراسات القرءانية: .بحث مقدم لندوة القراءات الجديدة للقرءان الكريم .كلية الآداب وجدة :2008.
[4] ــ د - سناء عبد الرحيم : السياق القرءاني في تفسير الزمخشري - مجلة افاق الاماراتية - السنة 21.العدد:81 – مارس 2013.

باستمرار لغة هذه الكتب الدينية القديمة ، خصوصا نصوص كتاب العهد القديم التي كانت لغته عبارة عن ألغاز ورموز وعلامات لكلمات لا يجمعها أي رابط أو جامع و لا تحمل أية دلالة أو معنى ، بسبب ندرة استعمال هذه الألفاظ وقلة تداولها في التخاطب اللغوي ، ولا تتحكم فيها مقتضيات الخطاب وسياقاته التي تعد عنصرا ومكونا أساسيا في الفهم والتلقي . ولا توجهها مستلزمات التخاطب المعاصر من حيث السنن الحاكمة لهذا التخاطب ... فكلما تقدم النص في الزمن صار نصا ناقصا ومبهما وغامضا واحتاج إلى فهم جديد وتأويل مستحدث وفق ما استجد من قيم ثقافية وحضارية جديدة ، فهذا الاختيار من شأنه أن يضمن لهذا النص البقاء والاستمرار ويبعد عنه التقادم والاندثار والتلاشي .

ومن هنا كانت الضرورة ملحة والحاجة ملزمة على البحث على علم جديد يفك هذا الإشكال اللغوي ويزيل هذا الإبهام الدلالي التي انتهت إليه اللغة المودعة في هذه الكتب الدينية القديمة . وكان هذا العلم هو علم الهيرمنيوطيقي " . [1]

" إن التجربة التاريخية التي مر بها النص اليهودي والمسيحي ، وكذا تجربة النقد العنيفة التي أطاحت بقدسية هذا النص، كانت من أبرز الخلفيات التي ساهمت في نشأة الاتجاه التأويلي " [2] .

ومن صميم هذا الإشكال ظهور الإشكال التأويلي في الفكر الغربي متزامنا مع نقد الكتاب المقدس . وكان من رموز هذا الاتجاه الفيلسوف الهولندي "سبينوزا " الذي كان رائد مدرسة نقد الكتاب المقدس. وقد كانت هذه المدرسة تنظر إلى الكتب المقدسة بوصفها نصوصا بشرية تخضع في نقدها لما تخضع له النصوص البشرية من حيث التأثر بالبيئة وبالظروف الزمانية والمكانية التي ظهرت فيها تلك النصوص " [3] .

وللخروج من هذا الإشكال المتعلق بتحقيق النصوص الدينية القديمة ، ورفع التعارض القائم بينها وتوثيق نسخها وتأويل مضامينها، وفق القيم المعاصرة والمبادئ الجديدة التي

[1] ــ د - عبد الرحمان بودلال الاتجاه الهرمنيوطيقي وأثره في الدراسات القرءانية:.بحث مقدم لندوة القراءات الجديدة للقرءان الكريم .كلية الآداب وجدة :2008.
[2] ــ الدكتور عبد المالك مرتاض:التأويلية بين المقدس والمدنس المنشور بمجلة عالم الفكر:ع:1-2000.
[3] ــ أحمد العلمي : في أسس الحداثة - سبينوز و تأويل النصوص المقدسة -مجلة مقدمات- ع19..2004

استحدثت في الواقع المعاصر، التي حملتها الحضارة الغربية والمدنية الجديدة . كان من الضروري اللجوء إلى هذه المناهج الـتأويلية المعاصرة لما تتيحه للقارئ من إمكانيات ومساحات واسعة في ممارسة سلطته التأويلية على النص ، " لأن هذه المناهج لا ترى مانعا في تعددية المعنى في التفسير و لا بأسا في تنوع الدلالة ، وعدم الاستسلام لأي سلطة غير سلطة المتلقي الذي له الحرية المطلقة والكاملة في التفسير والتأويل وإنتاج المعنى حسب رؤاه وتوجهاته واختياراته وقيمه ... بدعوى أن معنى النص وحمولته يتغير حسب الأحوال النفسية للمتلقي و حسب المعطيات الثقافية والفكرية التي يعيش فيها هذا القارئ . فقد يأخذ النص الواحد عدة معان مختلفة ومتباعدة وأحيانا متناقضة ومتباينة تبعا لأحوال المتلقي النفسية والثقافية ." [1] فالنص واحد لكن تلقيه متعدد تبعا لاستعدادات وأحوال هذا المتلقي .

والتأويل للنص بهذا التحديد جهد ذاتي يخضع فيه النص لتصورات القارئ ومفاهيمه وأفكاره القبلية... وتبعا لهذا فإن هذا المنهج التأويلي يعمل على إخضاع النص الديني بقوة لتصورات القارئ القبلية تحقيقا لرغبات هذا القارئ الذاتية ، بل الأكثر من هذا أن السند الذي استند إليه أصحاب هذه القراءات الحداثية أن في مجال نقد النص تستوي النصوص وتتماثل بصرف النظر عن جنسها أو نوعها أو مصدرها... فالنصوص الذي تستمد مرجعيتها من الوحي تتماثل مع النصوص التي ينتجها البشر. لأن كل النصوص تتساوى في استمداد مرجعيتها من الثقافة التي تنتمي إليها . " وهذا يلغي الافتراق و يرفع الاختلاف والتميز و يحقق التماثل والتجانس بين جميع النصوص من حيث المقاربة المنهجية سواء أكانت نصوص دينية أو نصوص بشرية . وهو ما يفسر لنا إلحاح المناصرين لهذا الاتجاه في أن المعطيات الثقافية مؤثرة في النص ." [2] " فالنصوص دينية كانت أم بشرية محكومة بقوانين ثابتة والمصدر الإلهي لا يخرج عن هذه القوانين لأنها تآنست منذ تجسدت في التاريخ واللغة فالنصوص ثابتة في المنطوق متحركة ومتغيرة في المفهوم ".[3]

[1] ــ د - رقية العلواني - قراءة في ضوابط التأويل:ص12.
[2] ــ د - لمرزوق العمري إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي الغربي المعاصر - دار الأمان –الطبعة الأولى2012 –ص315.
[3] ــ نصر حامد أبو زيد - نقد الخطاب الديني – سينا للنشر- مصر – ط – الثانية1994- ص118.

الفصل الثاني:
تاريخية التأويل

المبحث الأول:
التأويل في العهد القديم

في الفكر اليوناني :

لا مراء في أن هذا الضرب من النشاط الفكري التأويلي قد تجلى في أقدم صوره في الفلسفة الإغريقية مع أفلاطون وأرسطو، في نقدهما للفكر السفسطائي وفي سياق الجدل بين الفلسفة والسفسطة . " [1]

[1] ـ علي شنوفي : الدواعي الأولى للتأويل : الأزمات السلطوية – المجلة التونسية للدرسات الفلسفية – العدد الرابع – جوان 1985.

وكذلك نلمسه في بدايات الفكر اليوناني ، عند " الفيثاغورسية وتأويلاتها الرمزية للأساطير والكون عبر رمزية الأعداد والموسيقى ، ونجده عند الرواقية في قراءاتها لملاحم هوميروس . والشعراء الإغريق ، وبذلك ارتبط التفسير بالفيلولوجيا (علم اللغة) " [1] .

ثم إن لفظ الهيرمنيوطيقا ، لفظ يوناني (كما سبق ذكره) ، مر بعدة مراحل غيرت في دلالة المصطلح فجذوره الأولى وردت في مقولات أرسطو المنطقية بمعنى تفسير العبارة . وقد وضعه أرسطو جزءاً من أجزاء المنطق (بيري هرميناس) ويعني كما ترجمه قدماء المناطقة قضية العبارة أي كيف يمكن تفسير العبارة . والهيرمنيوطيقا قد سميت في بعض الكتابات بعلم التأويل أو التأويلية الذي يبحث عن تفسير النص وفهمه وقد ذكر بأن هذا المصطلح اشتق من" هرمس في اليونانية وهو الملاك الذي ينقل رسائل الآلهة وتعاليمها إلى الأرض ، فقد اعتبر هرمس hermes رسول الآلهة إلى البشر يبلغ حرفياً وينجز كل ما أوكل تبليغه " لهذا فالمصطلح الفلسفي hermeneus ترجمة أو نقل أو إيضاح حرفي إدراك المقصد الحقيقي للعبارة المنطوقة وعلى المؤول المترجم الذي يريد أن ينقل إلى اللغة (لغة الخاصة) وبصورة متجددة ما أريد التعبير عنه (في لغة أخرى) وتعطي معنى التكهن ، فهي فن تبليغ الإرادة الإلهية لكن تبقى دلالة التأويل ظنية: Interpretation مشتقة من الأول ، وهو لغةً الرجوع ، ويرادف التفسير، وقيل هو الظن بالمراد، والتفسير: القطع به ، فاللفظ المجمل إذ لحقه البيان بدليل ظني يسمى مؤولا ، وإذا كان بدليل قطعي يسمى مفسرا .

التأويل في الفكر اليهودي:

بدأ النشاط التأويلي يترسخ بعد المرحلة اليونانية "خاصة في الثقافة الدينية ابتداء بالثقافة اليهودية حيث تم استنباط قواعد لتأويل التوراة لغويا وعقائديا وشرعيا " [2] .

ولأن اليهودية عرفت - بوصفها نسقا دينيا - بغياب التجانس ، والتعددية المفرطة التي تصل إلى حد التناقض ، نظرا لظهورها في مرحلة متقدمة نسبيا من التاريخ ، ولأنها استوعبت الكثير من العناصر الدينية والحضارية من الحضارات التي وجدت فيها جعل

[1] ـ المصدر نفسه .
[2] ـ قاموس المفاهيم الفلسفية : Dictionnnaire des notion philosophiques ص1129 -1130 .

اليهودية تشبه التركيب الجيولوجي التراكمي المكون من عدة طبقات الواحدة فوق الأخرى .

وهذا ما جعل التأويل في الفكر اليهودي يبدأ بنقد النص ثم انتقلت المحاولة إلى تفسير النصوص المقدسة ونلمسها في الميراث النص المقدس والتأويلات التي كانت تحاول التوفيق بين التصورات الفلسفية والتصورات التوراتية ، يذكر أحد الباحثين أنه : " ظهر بين اليهود الفريسيين اتجاهان فكريان كان لهما أكبر الأثر في علم التفسير اليهودي:

-1اتجاه عقلي تأويلي يهتم بمقاصد الشريعة أكثر من الفروع الفقهية.

-2اتجاه ظاهري يتمسك بظواهر النصوص وتفريعاتها الفقهية ولا يأخذون بالتأويل.

وفي القرون الوسطى حدد العلماء اليهود أربعة مناهج لتفسير التوراة لكل منها مجاله ودلالاته، وقد أطلق اليهود على هذه المناهج اسم (الفردوس) وهي تسمية تجمع الحروف الأولى لأربع كلمات وهي:

1)بشاط :وهو التفسير البسيط أو الحرفي للنص.

2)رمز:وهو التفسير المجازي للنص.

3)دراش: وهو التفسير الوعظي والأخلاقي للنص.

4)سود: وهو التفسير الصوفي أو الروحي للنص "[1]

وقد غدا هذا الطرح ديدن كل هذه القراءات التي تحاول التوفيق واستنطاق قصد المؤلف لهذا وضعت أصولا للتأويل إذ أنهم يرون أن المعنى الحرفي يشبه الجسم والمعنى الخفي يشبه الروح ومع هذا ينبغي أن لا يهمل المعنى الحرفي، بل يجب إن تراعى الحرف والروح معا أو الظاهر والخفي .

[1] - قنديل عبد الرازق- الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي- دار الثراث- القاهرة- 1984م - ص109.

وهذا الذي فعله (فيلون) الذي يطرح تصور نخبوي في فهم النص/ التوراة بقوله: " يكون فهم النص على حقيقته ليس مقدورا للجميع ، مادام طريق هذا هو التأويل الذي ليس مقدورا أو مسموحا به للناس جميعا "[1] .

والتأويل كأسلوب معرفي في فهم النص بطريقة (دينامية) تعكس المعرفة العلمية المتغيرة قد تجاوز المعنى القديم الذي يتحدث عن (صرف المعنى الظاهر للفظ إلى معنى آخر يحتمله) وهذا يمكن أن نجده من خلال المنهج (الرمزي) ، وبعض استعمالات المنهج (الدراشي) وهو يتجلى من خلال عدم وقوف المفسر على حرفية النص ومعانيه المباشرة والبسيطة وإنما بالولوج إلى المعاني الكامنة في ثنايا النص وآفاقه المحتملة. وذلك من خلال التأثر بجملة من العوامل الخارجية المتمثلة بثقافة المفسر ومعارفه الإنسانية "[2]

وظهرت في الفكر اليهودي أنواع كثيرة نذكر منها:

أ- التأويلية الحسيدية :

تعود الحسيدية إلى الفكر القبالي الذي يبحث بدوره عن المعاني العميقة المحجوبة والسرية للألفاظ والتي لا يمكن الوصول إليها بالتأمل . وعلى هذا الأساس فقد طوَّر التصوف اليهودي طريقة خاصة للتعامل مع النص المقدس تعرف باسم: (زيروف) وتعني الدمج وهي تُقسم إلى ثلاثة أقسام

أ) - جيمتريا (حساب الحروف) ويستخدمها القبالي لمعرفة المعاني من خلال القيمة العددية للكلمات

ب) - نوتاريكن وهو إيجاد كلمات أخرى لها دلالة ما ، من خلال استخدام الحرف الأول أو الأخير من الكلمة المراد تفسيرها .

.ج) - تمورال وتعني تغيير الحروف في الكلمة المراد تفسيرها وإيجاد معانٍ جديدة

[1] - ايسدور ابشتاين، الحركات الحديثة في اليهودية، ترجمة عرفان عبد الحميد وهو جزء من كتابه اليهودية، عرض تاريخي، دار البيارق، ط1، 1997م، ص149 .

[2] - المرجع السابق – قنديل عبد الرزاق - ص 131 .

يتجاوز الفهم الحسيدي للنص ظاهر اللفظ ويتجه إلى حقيقة والتوراة تمثل انعكاساً للعالم، والعالم نفسه هو كشف روحي والاتصال بالله هو الذي يعطي الحسيدي القدرة على الولوج إلى معاني خاصة ربما لا يتحملها ظاهر اللفظ . "[1].

وقد أدى هذا الفصل بين ظاهر اللفظ والمعاني الباطنية إلى فتح أُفق تأويلي واسع أمام الفكر الحسيدي جعله من كثير من ظواهر النصوص والأحكام اليهودية .

ونجد هذا جلياً في أفكار (شم طوف) الذي ينتقد كثيرة أو تعلم التلمود والتمسك بالطقوس ولا يرى فيها طريقاً موصلاً للسعادة .

وتعود الحركة الحسيدية (نسبة إلى التقوى) إلى إسرائيل بعل شم توف (ت 1740) وهي امتداد لحركة القبالا (التصوف اليهودي)، وهدفت هذه الحركة إلى تجديد العلاقة بين اليهودية الشعبية والشريعة اليهودية .

وتتوجه التأويلية الحسيدية في الأساس إلى اليهود الأتقياء البسطاء وتعرض عليهم بلوغ الحقائق الروحية من خلال (علاقة انفعال) وليس (علاقة معرفة) ومن هُنا فقد بسَّطت وعصرنت الموضوعات الأساسية (للقبالا) اليهودية وطورت تأويلاتها الباطنية السرية إلى اندفاعية صوفية تلعب فيها تعابير السعادة والفرح دوراً مركزياً في هذه العملية .

وقد كان للحسيدية موقفها الرافض للحركة التنوير اليهودية وكانوا الأكثر عداء للحركة الصهيونية والأكثر رفضاً للهجرة إلى فلسطين" [2]. كذلك يكون فهم النص : فعل (فيلون) [3] الذي يطرح تصورا نخبويا في فهم النص/ التوراة بقوله

[1] - ديفيد باكان : فرويد والتراث الصوفي يهودي ، لمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - 1988 – ص 227.

[2] - جيل كيبل : يوم الله - ترجمة حسين مروة - دار قرطبة - ط1، 1992، ص157 -26 .

[3]- فيلو (20 ق م -- 50 م)، المعروف أيضا باسم فيلو السكندري ، هو فيلسوف يهودي ، وولد في الإسكندرية.

على حقيقته ليس مقدورا للجميع ، مادام طريق هذا هو التأويل الذي ليس مقدورا أو مسموحا به للناس جميعا . ويغدو هذا الطرح ديدن كل هذه القراءات التي تحاول التوفيق واستنطاق قصد المؤلف لهذا يضع أصولا للتأويل إذ انه يرى إن المعنى الحرفي يشبه الجسم والمعنى ينبغي أن لا يهمل المعنى الحرفي ، بل يجب أن يراعى الحرف الخفي يشبه الروح ومع هذا والروح معا أو الظاهر والخفي لهذا يلوم الذين لا يؤلفون لكل منهما .

أما الغاية من التأويل عند فيلون فهو يجعل من التأويل وسيلة ضرورية يحقق بها أغراضا لها قيمتها لديه أو بعبارة أخرى ، لتتفق النصوص المقدسة مع آرائه الفلسفية في الله ، وفي الخلق ، وفي النفس ، وفي الدين ، و يحرص مع هذا كله على أن يأخذ صفة العالمية ، لا أن يظل ديناً لطائفة خاصة هم بنو إسرائيل ، ويرى ضرورة تأويل النصوص التي تثبت بظاهرها لله مالا يليق به من الصفات والأحوال ، كالجسم والكون في المكان والكلام بصوت حروف والندم وهو في هذا يقول : الله لا يأخذه الغضب ولا يندم ولا يتكلم بحروف وأصوات وليس له مكان خاص يقر فيه . بل إنه يتشدد في التأويل فيقول : "هؤلاء الذين لا يريدون قبول طريق التأويل المجازي ليسوا أغبياء ، بل هم أيضا ملحدون " .

التأويل في الفكر المسيحي:

استمر ذلك النشاط التأويلي حول الكتاب المقدس مما جعل جل الباحثين يؤكدون النشأة الدينية للظاهرة التأويلية ، ذلك أنها عرفت أوسع تجلياتها في حركة تفسير الإنجيل الهادفة إلى حل المشكلات المتصلة بفهم النص الديني المسيحي وبالعلاقة بين الشفهي

والمكتوب في ذلك النص وبين العهد القديم والعهد الجديد ، فضلا عن عملية صياغة العقائد المسيحية " [1] .

إن أكبر دافع من وراء ظهور القراءة التأويلية ، هو " الإشكال الدلالي التي طرحته الكتب المقدسة على مستوى التلقي ، فتعدد نسخ الكتب المقدسة وتضارب الدلالة والمعنى في هذه النسخ . نتج و أسفر عنه نشأة علم نقد الكتاب المقدس " الهرمنيوطيقا " [2] .

وهذا الظهور لهذا العلم أدى إلى نتائج في غاية الأهمية والخطورة ومن أبرز هذه النتائج : الإقرار والاعتراف بوجود عدة نسخ للكتاب المقدس واختلافها من حيث الكم والكيف . وهذا الاختلاف وصل إلى حد التعارض والتناقض بين هذه النسخ . " الشيء الذي أدى إلى غياب الثقة في القراءة النموذجية للنص المقدس بسبب تباعد الدلالة اللغوية للألفاظ التي جاءت محمولة في هذه النسخ في وضعها الأصلي و ما أخذت توحي به هذه الألفاظ من معان جديدة ودلالات مستحدثة تبعا لاستعمال والتداول الجديد لها في التخاطب والتداول في اللغة المعاصرة " [3] .

ذلك أن كثيرا من الكلمات المستعملة في نسخ الكتاب المقدس لم تعد تحمل أية معنى أو دلالة . فهي من قبيل الألفاظ المبهمة والمهملة الذي لا تحمل أي معنى في التخاطب .

من هنا كان هذا التباعد اللغوي في ألفاظ الكتب المقدسة من حيث دلالة ألفاظها ، والذي وصل أحيانا إلى الباب المسدود في الفهم . بحكم قدم المعجم اللغوي لهذه الكتب ، فهو معجم مبهم ، غير متداول ، لم يعد مستعملا ، أو متداولا في التخاطب اللغوي

---

[1]- القاموس الموسوعي الجديد في علوم اللغة : ص 487 .

[2]- حامد ناصر الظالمي : اسبينوزا وأثره في منهجية تحقيق النصوص عند المحدثين – مجلة أبحاث البصرة – ع 28 – ج 1 – 2001 .

[3] - د - رقية جابر العلواني : إبراز الخلفيات التاريخية لنشأة حركة نقد النصوص الدينية - جامعة الشارقة 2005 موقع الدكتورة .

المعاصر. فهذا الاعتبار كان من أكبر الدواعي التي ساهمت في نشأة حركة نقد النصوص الدينية .

و لذلك اعتبر التأويل أو الهيرمنيوطيقا عند علماء اللاهوت المسيحي كما يرى صليبا هو : " تفسير الكتب المقدسة تفسيرا رمزيا أو مجازيا يكشف عن معانيها الخفية " [1] أي أن النص هو يتطلب التأويل لأنه يقدم معنى خفيا يحتاج إلى آلية خاصة لقراءته والوصول إليه . أما المعنى الواضح الظاهر فلا يحتاج إلى تأويل ، وربما نجد من لا يجيز تأويله لأن معناه واضح صريح .

وفي اللاهوت المسيحي استعملت الهيرمنيوطيقا (التأويل) بمعنى: منهج وقواعد تفسير الكتاب المقدس ، إلا أن معناه بدأ بالإتساع تدريجيا ليشمل الأدب والفن والنقد الأدبي وفلسفة الجمال .

إذن فمصطلح الهيرمنيوطيقا مصطلح قديم ظهر في اللاهوت الكنسي بمعنى مجموعة القواعد التي يعتمد عليها المفسر في فهم الكتاب المقدس ، وقد استعملت الهيرمنيوطيقا في الدراسات اللاهوتية للدلالة على هذا المعنى منذ سنة 1654مـ ، ولم يزل مستخدما بنفس المعنى في اللاهوت البروتستانتي غير أن مفهومه اتسع بالتدريج فشمل دوائر أخرى تستوعب - بجوار الدراسات اللاهوتية - العلوم الإنشائية والنقد الأدبي وفلسفة الجمال والفلكلورفان (Anagogic lnterpretation) هو تفسير للكتاب المقدس تفسيرا رمزيا للكشف عن معانيها الخفية لأن الشريعة مجتمعة على ظاهر وباطن كما يذهب بالاعتقاد بعض رجال الدين ، ومن خلال التأويل يتم إخراج النص من دلالته الظاهرية إلى دلالته الباطنية " [2] .

[1] - جميل صليبا : المعجم الفلسفي – الشركة العالمية للكتاب – بيروت لبنان – 1994 .

[2]- المصدر السابق - ص 237 .

فالظاهر هو الصور والأمثال ، والباطن هو المعاني الخفية التي لاتتكشف إلا لأهل المعرفة والعلم . والتأويل يؤدي إلى رفع التعارض بين ظاهر الأقاويل وباطنها .

ولقد كان أوغسطين- على سبيل المثال - يسير في التأويل المجازي بفطنته ، إذ يرى وجوب التمييز بين ما يجب أن يأخذ من النصوص حرفيا وبين ما يجب تأويله مجازيا ، على أن تكون نتيجة التأويل الاتفاق مع العقيدة ، ومبدأ وجوب اتفاق نتيجة التأويل مع العقيدة ، تراه صار مبدأ متوارثا فهذا توما الأكويني يؤكد في الخلاصة اللاهوتية : أن كل ماعدا المعنى الحرفي لا يعتمد عليه وأنه لاشيء من تلك المعاني الأخرى ، إلا وهو موجود بوضوح في المعنى الحرفي . لكن مع هذا ظهر التأويل المجازي في الفكر المسيحي حتى جاء التصور البروتستانتي الذي رفض هذا التأويل ووضع شروط أخرى للتأويل .

فالذي نفهمه من هذه المقدمة بالتعريفات ، إن التأويل بمعناه القديم والوسيط مطلقة خاضع للقراءة أيدلوجية عقائدية يهيمن عليها المعنى الأوحاي المطلق، وعنف القراءة المطلقة في ظل هيمنة المفاهيم المتعالية الميتافيزيقية التي ورثها هؤلاء من اليونان ، وأصبحت أداة في أيديهم غابت عنهم التاريخية وأصبحت أمامهم .

المبحث الثاني:

الإسلام ومشكلة التأويل

الإسلام والتأويل :

إن مسألة التأويل في الإسلام ، إشكالية ذات حضور مركزي في تاريخ الفكر العربي الإسلامي ، وهي لا تزال حاضرة حتى هذه اللحظة الراهنة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر ، فالجرجاني وهو أحد أئمة البلاغة قال في كتاب التعريفات إن " التأويل في الأصل : الترجيع ، وفي الشرع : صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة " [1]. ويعطي مثلا على ذلك فيقول : " مثل قوله تعالى : " يخرج الحي من الميت " أراد به : إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا ، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر ، أو العالم من الجاهل ، كان تأويلا " [2]

فالإسلام والذي يستمد روحه من القرآن هو " الظاهرة المعجزة التي ما زال العقل الإسلامي يستعيدها بوصفها الأصل والنموذج " [3] ولهذا فإن مختلف اتجاهات الفكر الديني، على اختلافها ، وتعارض منطلقاتها وأهدافها ، تتقاطع على مستوى إشكالية تأويل النص الديني ، ويضيف باحث آخر : " هذه الرغبة ليست خاصة بالخطاب الديني ، بل كذلك ميزة خاصة بالخطاب الفلسفي المتجسد في القراءة النقدية ". [4] وهو ما يفضي إلى القول بأن إشكالية تأويل النص الديني ، تصنع رهاناتها المستمرة وحداثتها المتجددة ، في تاريخ الفكر العربي .

وإشكالية تأويل النص القرآني هي إشكالية مركبة تشتبك على مستواها إشكاليات ، فإذا كان تأويل النص القرآني هو بمثابة العودة إلى الأصل ، فهذه العودة لا تتأتى للناقد إلا في ضوء قراءة التراث ، أي النصوص الشارحة ، فقراءة التراث الديني هي قراءة - موضوعها النصوص – التي تشكلت حول النص القرآني ، في محاولة لفهمه وتفسيره ، لتشكل نصوصا شارحة للنص الأصلي المتمثل في نص الوحي .

---

[1] - الجرجاني : التعريفات – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت لبنان – 2006 – مادة التأويل .
[2] - المصدر نفسه .
[3] - علي حرب : أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر (مقاربات نقدية وسجالية) – دار الطليعة – بيروت – ط1 – 1994 - ص56 .
[4] - حيرش بغداد : " نصر حامد أبو زيد ، المشروع التنويري المجهض " كتابات معاصرة – مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية - مجلد 17 – ع68 -2008 - ص19 .

وبهذا شكلت نصوص التراث الديني ، أي التفاسير القرآنية ، موضوعا للدرس العلمي (بالمصطلح الذي يوظفه أبو زيد) ، ويجري التعامل مع نصوص التراث التفسيري بوصفها نتاج عقل بشري ، فالفهم – التأويل – هو نتاج الفكر الإنساني ، وهدا الأخير يرتبط بعلاقة عميقة بالواقع التاريخي ، ومن هذا المنطلق شكلت العلاقة بين الفكر والواقع مشكلة محورية ومركزية .

أصول الرؤية التأويلية في الإسلام :

يذهب بعض الباحثين إلى نفي وجود رؤية تأويلية متكاملة في النص القرآني ، ويرون أن لفظ التأويل قد ورد فيه خلال سياقات متفرقة لا جامع بينها وأنه لايتعلق بمواضيع محددة وإنما هو مجرد إشارة إلى أسلوب في النظر لا يرتبط بمجالات بعينها ، يقول أحد الباحثين في ذلك : " فإننا إذا استعرضنا الآيات القرآنية الكريمة التي وردت بها لفظة التأويل كما بينا، فإننا نجد أنه ليس للتأويل موضوع محدد ، وإنما هو بتناول مسائل متفرقة إما تتعلق بتفسير الرؤى أو تتعلق بالأخبار عن غيب في الدنيا أوتتعلق بحسم الخلاف بين المسلمين وأولي الأمر أوتتعلق بالإحسان في البيع بإيفاء الكيل والعدل في الميزان أوتتعلق بموقف كل من أهل الزيغ والراسخين في العلم من المحكم والمتشابه من الآيات أوتتعلق بعاقبة الكافرين وحسرتهم يوم القيامة أوتتعلق بمسارعة الكفار بالتكذيب قبل التريث والتريث مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ...فإننا إذا ذهبنا نلتمس لعلم التأويل منهجا محددا فإننا لا نجد له منهجا على الإطلاق " [1].

[1] - محمود محمد ربيع : أسرار التأويل – ص25 – 32 .

غير أن الله الذي قال : " كتاب فصلت آياته ..." " وإنه لكتاب مبين ..." " ما فرطنا في الكتاب من شيء ..." ما كان ليذكر مسألة هي بالأهمية بمكان ذكرا عشوائيا - حاشاه عز وجل - من غير أن يحكمها ويضبطها . وإن المتمعن في مجمل السياقات التي ورد فيها لفظ التأويل في النص القرآني أن يرصد فيها ثلاث بؤر دلالية يكمل بعضها بعضا في تناسق وانسجام .

- فالأولى تتعلق بمجال السلوك الفردي والجماعي ومجال المعاملات وتمثلها الآية التاسعة والخمسون من سورة النساء : " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تاويلا" [1] . وكذلك الآية الخامسة الثلاثون من سورة الإسراء :" وأوفو الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تاويلا "[2]. فالتأويل في الآية الأولى مرتبط بالفصل في النزاعات وفي الآية الثانية بالمعاملات التجارية مما يضفي عليه دلالة تشريعية لها صلة بالأحكام . فهذا صنف أول من التأويل يمكن وسمه بالتأويل الشرعي .
- وتتعلق البؤرة الدلالية الثانية بمجال الإعتقاد ويمثلها عدد من الآيات منها الآية الثانية والخمسون والثالثة والخمسون من سورة الأعراف:" هل ينظرون إلا تاويله يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق " ، والتاسعة والثلاثون من سورة يونس: " بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله " ، لكن الآية التي تميزها بامتياز هي الآية السابعة من سورة آل عمران : " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله إلا الله والراسخون في العلم " وقد أكد العلماء من مفسرين ودارسين لمتشابه القرآن ومصنفين لعلوم القرآن أن

[1] - سورة النساء الآية 59 .
[2] - سورة الإسراء الآية 35 .

المقصود بالآيات المتشابهات تلك التي يحدث ظاهرها التباسا في الاعتقاد يتعين رفعه باعتماد التأويل " [1] . وهذا النوع من التأويل وسم كذلك بالتأويل الكلامي .

- أما البؤرة الدلالية الثالثة فلا صلة لها بالتأويل اللفظي للخطاب القرآني إنما تتصل بتأويل مظاهر الوجود وتمثلها جملة من الآيات من بينها الآية الثانية والثمانون من سورة الكهف: " ذلك تاويل ما لم تستطع عليه صبرا " وقد وردت في سياق قصة موسى والولي وتعلقت دلالتها بالمعنى الباطن للحوادث لا بمعنى اللفظ ودلالته ومنها الآيات السادسة :" وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث " و السادسة والثلاثون : " نبئنا بتاويله إنا نراك من المحسنين " ، والسابعة والثلاثون: " قال لا ياتيكما طعام ترزقانه إلانبأتكما بتاويله " ، والحادية والأربعون : " وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين " ، والثالثة والأربعون : " أنا أنبئكم بتاويله فأرسلون " ، والتاسعة والأربعون : " يا أبت هذا تاويل رؤياي من قبل " ، والحادية بعد المائة : " رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث " من سورة يوسف ، وقد تكرر فيها لفظ التأويل ثماني مرات مضافا تارة إلى الأحلام والرؤى وطورا إلى استشراف الغيب . تلك هي المجالات التي يتناولها التأويل في السياقات القرآنية وهي إما مجالات شرعية أو مجالات عقدية (كلامية) أو مجالات كونية عرفانية لها صلة بالوجود وبما وراء الوجود ولا يخفى مابين هذه المجالات من تكامل وتماسك إذ تكون في مجموعها وحدة تمثل جوهر الرسالة ومحتواها .

الحداثيون وتأويلية النص القرآني :

وإذا كان القدماء قد عالجوا النص القرآني باعتباره مصدرا للاستثمار التشريعي والتوظيف العلمي ، فإن القراءات الحداثية قد سعت إلى تأسيس نوع من القطيعة المعرفية والمنهجية مع الكتابات القديمة تحت دعاوى التجديد والأنسنة والعقلنة . وقد سار الباحثون العرب على

[1] -ابن قتيبة : تـأويل مشكل القرآن – دار التراث – القاهرة – ط2 -1973 .والشريف الرضي : حقائق التأويل في متشابه التنزيل – دار المهاجر – بيروت لبنان – والقاضي عبد الجبار : متشابه القرآن – دار التراث – القاهرة 1969 .

خطى أساتذة التفسير النصي في الغرب الذين عالجوا النصوص الدينية في بعدها البشري الطبيعي دون الإحالة على تميزها الإنشائي أو أصلها المفارق.

ويقول أحد الباحثين : "ويمكننا في هذا المجال أن نميز بين أربع قراءات معاصرة للنص القرآني : أدبية وتأويلية وإيديولوجية ومعرفية . وجوهر الاختلاف هو في الجواب عن السؤال الإشكالي : كيف نقرأ القرآن قراءة تساهم في تحرير الواقع العربي من تبعات الهزيمة والانحطاط ؟. وفي هذا تعترف كل هذه القراءات – الحداثية - بأن النص القرآني يشكل عقبة معرفية أمام كل محاولة لإعادة بناء الشخصية العربية الحديثة لارتباطه اللزومي بالقراءات القديمة التي أحاطت به حتى غدت جزء من بنيته الدلالية وعنصرا بنائيا في المخيل الذاتي للمتلقي المعاصر. كما اجتهدت هذه القراءات في تطبيق آليات حداثية غير مكتملة التأسيس حتى في معينها الأصلي ولدى روادها الأوائل ، أو كما قال هابرماس : "إن الحداثة مشروع لم يكتمل" . لذلك ظلت هذه القراءات حبيسة الصالونات الفكرية والنقاشات الأكاديمية بعيدة عن شروط التناول المجتمعي كما يقول (نصر حامد أبو زيد) . حيث انطلقت جلها من محاولة إنقاذ النص القرآني من سلطة المرجعيات المختلفة وجعله متاحا للتناول الإنساني كأي نص أدبي أو فكري عادي بعيدا عن مفاهيم الإطلاق والتعالي والانفصال والقدسية " [1].

والواقع أننا لو رمنا التدقيق في التصنيف القرائي للنص، لجعلنا كل محاولة حداثية هي صنف قائم بنفسه وباب منعزل عن البقية لكثرة المناهج وتعدد المحاولات التطبيقية . لكننا نذكر باقتضاب أهم هذه القراءات- كما سلف ذكره - التي تتداول كثيرا في النقاشات المتعلقة بالنص هي ثلاث قراءات : تأويلية وأدبية وإيديولوجية ، ونضيف لها صنفا رابعا ذكره الدكتور الجابري في كتابه الجديد تأليفا القديم معرفة "مدخل لدراسة القرآن" ألا و هو القراءة المعرفية .[2]

[1] - فؤاد بوعلي – الأسس المنهجية للقراءة الحداثية للنص القرآني : محاولة في التفكيك والتأسيس – مجلة التسامح – العدد24 – 2008 .
[2] - المرجع نفسه .

غير أنه مما يجدر الإشارة إليه أن ما يميز هذه المشاريع الحداثية في قراءة النص القرآني أنها ترى : " أن المناهج القديمة تقيد المتلقي في قراءته للنص ، ولا تسمح له باختراق سلطة النص". [1] فهي تحمل من القدرات التفسيرية والإمكانيات الـتأويلية ، ما لم تحمله المناهج القديمة في التفسير والـتأويل.. " وهي تعمل على الحد من سلطة النص وتوسع من سلطة المتلقي. فسلطة النص المتمثلة في القواعد والضوابط والمعايير الحاكمة للفهم والمنظمة للتلقي تشكل حاجزا في القراءة بسبب الاحتكام لقواعد الفهم في اللغة العربية ، ثم الرفع من شأن سلطة القارئ الذي منحته هذه المناهج حق التأويل المطلق وحق التلقي الحر للنصوص الدينية . وهذا السعي كان من أجل مطاوعة النص وتوجيهه ، ليحقق الانسجام والتوافق مع مؤهلات القارئ الفكرية وخلفياته المذهبية ، ورؤاه الذاتية . الشيء الذي يجعل من النص أداة خادمة ومطاوعة لتوجهات واختيارات وقبليات القارئ الفكرية والمذهبية في تفسره للنص ". [2]

لكن هذا السعي يفتقد للشرعية إذا نحن علمنا أن الأصل في اكتساب المعنى من النص شرعي كان هذا النص لغويا أو أدبيا أو قانونيا هو الاحتكام إلى الدلالة الأصلية للنص ، و عدم العبور إلى المعنى التبعي إلا بقرينة . وهو الأمر الذي يعد ضروريا وملزما " إذ من الضروري في التفسير الاحتكام إلى الدلالة الأصلية للنص وعدم إسقاطها في التفسير لأنها الأصل " . [3] فالقراءة الحداثية أو المعاصرة للنص أو الجديدة رغم اختلاف الأسماء والمسميات والنعوت والأوصاف لها ، فهي في نهاية الأمر والمطاف قراءة مذهبية لأنها لا تخدم في أصلها ومقصدها النص ولا تخدم العملية التفسيرية . بقدر ما تخدم مذهبية القارئ و اختيارات المفسر التي يعمل على إسقاطها بالقوة في تفسيره للنص القرآني . وفي هذا يقول الدكتور أحمد الريسوني : " فإذا نحن قمنا بإبعاد هذه الدلالة الأصلية من النص المراد تفسيره أو قراءته ، من أجل تحقيق رغبات المتلقي ، فإنه لن يبقى من النص المراد تفسيره شيء ،

[1] - رقية جابر العلواني: قراءة في ضوابط التأويل وأبعادها المنهجية في الدراسات القرآنية المعاصرة: - ص22 .
[2] - د – عبد المالك مرتاض : التأويلية بين المقدس والمدنس. مجلة عالم الفكر مجلد :33.ع2::.:2004.
[3] -يوسف القرضاوي : من محاذير التفسير : سوء التأويل – مجلة إسلامية المعرفة العدد 8 – إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي – 2008 .

بل سنجد أنفسنا أمام عدة مفاهيم للنص تتضارب في المعنى و تتعارض ، فبعضها يعارض البعض الآخر" [1].

الفصل الثالث :

نصر حامد أبو زيد والتأويل

[1] - أحمد الريسوني : في حدود فتح النص للتأويل وشروطه – محاورة مع الدكتور – مجلة المنطلق – العدد 9 – 2009 .

المبحث الأول:

مفهوم النص عند نصر حامد أبو زيد

مفهوم النص عند نصر حامد أبو زيد :

إن مفهوم النص لدى نصر حامد أبو زيد يتنافى تماما مع المفهوم التقليدي له ، وذلك لأن النص في المفهوم الكلاسيكي التقليدي ، خصوصا عند علماء الدين المسلمين ، ينظر إليه على أنه كل ما يشير إلى القرآن والحديث ، حيث يستخدمون مصطلحات متنوعة مرادفة لكلمة النص ، مثل الكتاب والتنزيل والقرآن وغيرها ، و ذلك للإشارة إلى النص القرآني ، ويستخدمون مصطلح الحديث والسنة للإشارة إلى نص الحديث ، أما مصطلح التنزيل فهو للإشارة إليهما معًا .

لكن ما يهمنا هنا ليس المصطلحات التي كانت تستخدم للتعبير عن النص الديني ، وإنما الدلالة التي كانت تحملها هذه المصطلحات ، التي تدور حول ذلك البناء اللغوي الذي لا يحتمل تعدد المعاني ، فمفهوم النص في التراث يقوم على أن الخطاب الديني يرفع في وجه العقل و الاجتهاد مبدأ " : لا اجتهاد فيما فيه نص" ، لأنه لا يعني بالنص ما يعنيه بالترا ث ، وهو الواضح الجلي ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن تحديد ما هو نص ، والتفرقة بينه وبين ما ليس كذلك ، أمر خاضع للخلاف والاجتهاد في تاريخ الثقافة الإسلامية ... إن القرآن – برأي نصر

حامد أبو زيد - نص ديني ثابت من حيث منطوقه ، لكنه من حيث ما يتعرض له العقل الإنساني يصبح " مفهوما " يفقد صفة الثبات ، إنه يتحرك و تتمدد دلالته"[1].

ذلك لأن نصر حامد أبو زيد يعتقد أن النص القرآني نص لغوي ، وبالتالي فمدخل مقاربته لغوي بامتياز، من خلال معطيات الثقافة العربية ، ونظامها اللغوي الذي تنبني عليه، وتتأسس به .

يقول نصر حامد أبو زيد في هذا الباب : " إن الله سبحانه وتعالى حين أوحى للرسول الكريم بالقرآن اختار النظام اللغوي الخاص بالمستقبل الأول ... ذلك أن اللغة أهم أدوات الجمع في إدراك العالم وتنظيمه ، وعلى ذلك لا يمكننا أن نتحدث عن لغة مفارقة للثقافة والواقع طالما أنه نص داخل الإطار اللغوي للثقافة " [2] .

إن جوهر العملية التأويلية عند نصر حامد أبو زيد قائم على معضلة تفسير النص بشكل عام سواء أكان هذا النص تاريخيا أم دينيا أم أدبيا أم غير ذلك ، ويترتب على ذلك أسئلة كثيرة معقدة ومتشابكة تتعلق بطبيعة النص أولا وعلاقته بالتراث الفكري ، والمذهب الشخصي الذي يتبناه صاحبه .

ولأن الحضارة الإسلامية – حسبه – حضارة نص بمعنى أن مجموع تراثها الفكري ارتبط أساسا بالنص القرآني المبارك ، فقد حاول أبو زيد من خلال أعماله عقد مساءلة جدلية يستهدف بها الباحثين والدارسين عن العلاقة القائمة بين هذا النص الكريم والواقع الإنساني دائم التجدد والتغير .

من وجهة نظر الدكتور نصر حامد أبو زيد إن جوهر النص القرآني وحقيقته لا يتعدى كونه منتجاً ثقافياً ، باعتباره لغة يحال عليها أن تكون مفارقة للثقافة والواقع ، وقد تشكّلَ في ظرف يزيد على عشرين عاماً . ومع ذلك فإن نصر حامد أبو زيد لا ينكر إلوهية مصدر النص القرآني ، ويرى أن هذه الإلوهية لا تنفي واقعية محتواه ، ومن ثم لا تنفي إنتماءه إلى

[1]- نصر حامد أبو زيد : نقد الخطاب الديني – المركز الثقافي العربي - ط 3 – الدار البيضاء المغرب – 2007 – ص 125 .
[2]- المصدر نفسه – ص 52 – 53 .

ثقافة البشر. كما أن النص في هذه الحالة لا يعكس الثقافة والواقع عكساً آلياً ، بل أنه يعيد بناء معطياتهما في نسق جديد . الأمر الذي يعني وجود علاقة جدلية بين النص والواقع أو الثقافة.

على ذلك اعتبر أبو زيد أن اختيار منهج التحليل اللغوي في فهم النص هو الوحيد الذي يلائم موضوع البحث ومادته ، فإذا كان النص حاملاً للثقافة التي ظهر فيها دون أن يكون هناك ما يفارق الواقع ، فلا بد حينئذ من أن يكون التحليل اللغوي هو الوحيد الذي يلبي – فعلاً - حاجة الفهم الخاصة بالنص . و هنا يصبح الأخير كاشفاً عن واقع الثقافة التي ظهر فيها ، كما يكون هذا الواقع مساعداً على فهم النص .

والبحث عن مفهوم "النص" ليس في حقيقته إلا بحثا عن ماهية "القرآن" وطبيعته بوصفه نصا لغويا، وهو بحث يتناول القرآن من حيث هو "كتاب العربـية الأكبر، وأثره الأدبي الخالد" فالـقرآن كتاب الفن العربي الأقدس ويضعنا هذا البحـث أمام إشكاليات جوهرية يبرزها فعل القراءة .

يقول أبو زيد : " إن الله سبحانه وتعالى حين أوحى للرسول بالقرآن اختار النظام اللغوي الخاص بالمستقبل الأول . وليس اختيار اللغة لوعاء فارغ وإن كان هذا ما يؤكده الخطاب الديني المعاصر، ذلك أن اللغة أهم أدوات الجماعة في إدراك العالم وتنظيمه . وعلى ذلك لا يمكن أن نتحدث عن لغة مفارقة للثقافة والواقع ، ولا يمكن من ثم أن نتحدث عن نص مفارق للثقافة والواقع طالما أنه نص داخل إطار النظام اللغوي للثقافة . إن ألوهية مصدر النص لا تنفي واقعية محتواه ولا تنفي من ثم انتماءه إلى ثقافة البشر" وأن النص كله لا يدل إلا من خلال النظام اللغوي الخاص بالمخاطبين " [1] .

بالتالي فإن هدف دراسة الدكتور أبو زيد يمكن فهمه من خلال هذا السياق ومن خلال سعيه الدءوب للتأكيد على أن أية قراءة للنص إنما يجب أن تصدر من مسلمة أساسية (كان شاغل أبو زيد التأكيد والبرهنة عليها) تتمثل في أن النص طالما هو نص لغوي (أبو زيد هنا

[1]- نصر حامد أبو زيد - مفهوم النص – دراسة في علوم القرآن - المركز الثقافي العربي - 1991 - ص 19.

يستلهم التعريف الألسني لمفهوم النص باعتباره علامة لغوية) وطالما أن اللغة لا يمكن أن تكون مفارقة لثقافة الجماعة المستخدمة ، فبالتالي يترتب على هذه المقدمة نتيجة قرر بموجبها أبو زيد أن النص ليس هو الآخر بمفارق للثقافة والواقع .

وبالنظر إلى ما سبق نجد أن ما سعى إليه نصر حامد أبو زيد هو الأمر عينه الذي أكدت عليه الهيرمنيوطيقا في تعاملها وتعاطيها مع كافة النصوص اللغوية ، بوصفها فن فهم وقراءة النصوص حيث تتساوى من منظورها كل النصوص باعتبارها نصوص تاريخية ، وهو ما ينزع عن بعضها (الدينية تحديداً) صفة القداسة والتعالي على التاريخ .

ثم إننا عند قراءتنا " لفهوم النص" نجد أن نصر حامد أبو زيد يطرح معضلة النص بالشكل التالي : كيف نتعامل مع النص ؟ كيف يمكن الوصول إلى المعنى الموضوعي للنص القرآني ؟ وهل في طاقة البشر بمحدوديتهم ونقصهم الوصول إلى القصد الإلهي في كماله وإطلاقه ؟ إن مثل هذه الأطروحات لا يمكن لأي معرفة معالجتها سوى القراءة النقدية و بآليات تأويلية وحدها بإمكاننا معالجة المعضلة ، باعتبارها تقف بصورة جدية عند عناصر البنية المشكل منها فعل القراءة التي تطرح صعوبات حول (المؤلف / النص / الناقد) أو (القصد/ النقد/ التفسير) "[1].

وواضح أن مثل هذا التساؤلات - وخاصة التساؤل عن كيفية الفهم - يرتد بنا إلى حقول معرفية حديثة من بينها اللسانيات والسيمولوجيا والتحليل النفسي وعلى وجه الخصوص الهيرمنيوطيقا بوصفها الحقل المعرفي المُعنى بفن تأويل وفهم النصوص . على ذلك فإن التساؤل عن الكيفية التي نفهم بها النصوص يرمي بنا في الفضاء اللا محدود للتأويل وآلياته .

إن الهاجس المؤرق لنصر حامد أبو زيد هو كيفية الإسهام في بلورة و تأسيس معرفة عقلية بالنص القرآني (المقدس) إذ الملاحظ كما يقول أبوزيد : " أن ما يجمعنا نحن المسلمون موجود في النص ، وينبغي التسليم بذلك ، لكن الوصول إليه وبلوغه لن يكون إلا

[1]- نصر حامد أبو زيد - إشكاليات القراءة وآليات التأويل - المركز الثقافي العربي - الطبعة الرابعة - 1996 - ص 19.

من خلال القراءة التأويلية ، باعتبار التأويل العملية الأمثل للتعبير عن عمليات ذهنية على درجة عالية من العمق في مواجهة النصوص والظواهر "[1] .

ولقد حرص نصر حامد أبو زيد على التمييز بين مصدر النص وطبيعة النص ، فأنْ يكون القرآن الكريم وحيا إلهيا فإنّ ذلك لا ينفي عنه أنّه نص بشري بالنظر إلى أنّ الوحي قد تأنس عندما تجسّد في اللغة والتاريخ ، مما يجعل " القرآن الكريم " محكوما بجدلية الثبات والتغيّر، فالنصوص ثابتة في المنطوق مُتحركة مُتغيّرة في الدلالات ، فالقول بألوهية مصدر النص لا ينفي واقعية محتواه ، ولا ينفي انتماءه إلى البشر .

لقد انطلق نصر حامد في فهمه لماهية "النص" من مقدمة . وعلاقته الجدلية مع الواقع مؤدّاها أنّ النص صنو الواقع الذي نشأ فيه ، ذلك أنّ اللغة لا تكون مفارقة لثقافة الجماعة المُستخدمة لها ، وبناء على ذلك ذهب إلى أنّ النظر في النص القرآني يقتضي الإلمام بنظام اللغة العربية ومنظومة القيم والأعراف والتقاليد الجاهلية .

فكل النصوص لا تعدو أنْ تكون امتدادا للظاهرة الثقافيّة الخاصة بكل منظومة دينية أو ثقافية ، ومن شأن اللغة المجازية التي تشكّلت منها تلك النصوص أنْ تجعل العالم متحرّكا غير ثابت (التأويل) . فأصالة النصوص تُقاس بقدرتها على احتواء الرؤى المختلفة مما يعطى حياة للنص . فالمشكلة الرئيسة عنده تتمثّل في كيفية تفاعل الإنسان مع النص ، ذلك أنّها لا تحمل دلالة نهائية ، وهو ما يجعل البحث في أُحادية المعنى أضغاث أحلام لا قيمة له معرفيا من منطلق أنّ النص الذي ينص على الحقيقة ينتهي بانتهائها وبهذا المعنى فإنّ النص بما له من وجود (المنطوق ، المكتوب) ينطوي على مجموعة من التعابير المجازية الرمزية ، فتجعل من القارئ (المفسر، ...) مُنتِجًا للنص أي المعنى وفق ثقافته ورؤاه ومواقفه ، وهو ما يعني أنّ كل قراءة تظلّ قراءة مُمكنة من بين قراءات أخرى .

لقدعمل نصر حامد في جميع مؤلّفاته على تخليص الفكر الديني من سلطة الأوصياء بتبيّن الطابع الأيديولوجي الذي سيطر - وما يزال - على الفكر الديني ، ذلك أنّ " كل الخلافات

[1]- المرجع نفسه ص 192.

الاجتماعية (الاقتصادية ، السياسية ، الفكرية) بين الجماعات المختلفة في تاريخ الدولة الإسلامية كان يتمّ التعبير عنها من خلال اللغة الدينيّة في شكلها الأيديولوجي ". [1]

إن المنهج الجديد في قراءة النصوص الدينية لدى نصر حامد أبو زيد ، يؤكد على ضرورة مراعاة متطلبات الواقع في تأويل النصوص الدينية " فعن طريق فقه النص والواقع تتم الموائمة بين الحكم الشرعي و بين الحادثة أو الواقعة المعروضة بعناصرها و ملابساتها و ظروفها " [2].

وهذا ما يؤكده أبو زيد في قوله " إن إشكاليات القراءة لا تقف عند حدود اكتشاف الدلالات في سياقها التاريخي الثقافي الفكري ، بل تتعدى ذلك إلى محاولة الوصول إلى "المغزى " المعاصر للنص التراثي " [3].

ذلك أن قراءة النصوص ، و بالتحديد قراءة النص الديني ، لا تنطلق من فراغ ، بل هي قراءة تنطلق من أسئلة أو إشكاليات ترتبط بدورها بالواقع المعاش ، هنا تتحدد طبيعة منهجية قراءة النص التي تحاول أن تؤول النص فتستخرج منه ما يساعدنا في فهم الواقع ، هذه هي القراءة المنتجة التي تنطلق من الحاضر إلى الماضي ، فترتد مجددا إلى الحاضر في حركة مستمرة .

[1]- نصر حامد أبو زيد : الإمام الشافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطية - مكتبة مدبولي - ط 2 (منقحة) - القاهرة مصر – 1996 - ص 11 .
[2]- محمد محفوظ :الفكر الإسلامي المعاصر و رهانات المستقبل- الطبعة الأولى- المركز الثقافي- العربي- بيروت- 1999 - ص66 .
[3]- نصر حامد أبو زيد : إشكاليات القراءة وآليات التأويل – ص125 .

المبحث الثاني:

تأويل النص عند نصر حامد أبو زيد وتاريخيته

يعد الأستاذ نصر حامد أبو زيد من رواد الهيرمنيوطيقا في الخطاب العربي المعاصر ، وقد عده كثير من المعاصرين المدشن الفعلي ، والمستقبل الحقيقي للهيرمنيوطيقا الغربية في الفكر العربي المعاصر ، إذ احتفت كل أعماله بها شرحا وتفسيرا ، أو تقعيدا وتنظيرا ، بدءا من رسالته في الماجستير الموسومة ب " الاتجاه العقلي في التفسير – قضية المجاز في القرآن الكريم عند المعتزلة –" ومرورا بأطروحته للدكتوراه التي حملت عنوان " فلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي " وكذا ما سبق ذلك وتلاه من كتابات ، ومقالات حاولت الترويج لهذا المفهوم ، وصنع قاعدة جماهرية بحثية له كإشكاليات

القراءة وآليات التأويل ، وكذا مفهوم النص ، دراسة في علوم القرآن ، وكذا نقد الخطاب الديني ، ومؤلفه الشهير المسمى : الإمام الشافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطية ، وغيرها من المؤلفات التي كانت تطالب بإعادة قراءة النصوص الدينية الإسلامية وفق متغيرات العصر ، ومستجداته الطارئة .

تأويل النص عند نصر حامد أبو زيد :

يرى الأستاذ نصر حامد أبو زيد أن جوهر الإشكال المعرفي المرتبط بمسألة التأويل في الفكر العربي الإسلامي المعاصر إنما يعزى إلى التفسير الذي يتمسك أصحاب المدرسة النصية في الثقافة الإسلامية بقداسة النص ، وعدم قبول أي رأي عقلي من شأنه البحث عن طرائق تأخذ بالحسبان معطيات الزمان والمكان ، سواء أكان النص تاريخيا ، أو أدبيا أم مجرد عرف أو تقليد درج عليه الناس .

وفي هذا السياق يقول الأستاذ : " إن قضية الأساسية التي تتناولها الهيرمنيوطيقا بالدرس هي معضلة تفسير النص بشكل عام، سواء أكان هذا النص نصا تاريخيا، أم نصا دينيا "[1].

ولكي نميز بين مصطلحي التأويل والتفسير لابد من الفصل بين مفهومهما النظري والتطبيقي لأنهما يمتزجان بطريقة أو بأخرى ، " ويتعدى هذا التمييز ذلك للبحث في طبيعة النصوص المراد تأويلها ، ستحدد المعالم الإفتراضية التي يشتغل عليها كل مصطلح ، ففي حين ظل التفسير مقيدا بالنصوص الدينية المقدسة ، اتسعت دائرة اشتغال التأويل لتطرق مجالات عديدة ، وأبوابا جديدة اتشمل كل ما هو رمزي وإنساني عموما " [2] .

فيعتبر نصر حامد أبو زيد أن التأويل هو نفسه التفسير : " وأنَّ أولئك الذين يقـُومُون بتفسيره إنّما يأوّلـُونهُ مع أنَّهم يفرّقـُون بيْن التفسير والتأويل ، وهذه التفرقة فى نظره " تُعْلِى مِن شأن التفسير، وتُغْضى من قيمةِ التأويل على أساسٍ منْ موضوعيةِ الأوّل وذاتيةِ الثانى ،

[1]- نصر حامد أبو زيد : إشكاليات القراءة وآليات التأويل – ص13 .
[2]- نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص- الهيئة المصرية للكتاب - 1990 – ص12 .

الموضوعية فى الحالة الأولى موضوعية تاريخية تفترض إمكانية أنْ يتجاوز المفسرُ إطارَ واقعِه التاريخىّ وهمومَ عصره ، وأنْ يتبنَّى موقف المعاصرين للنص، ويفهم النص كما فهموه فى إطار معطيات اللغة التاريخية عصر نزوله " [1].

فـالتفسـيـر مــن هــذا المنظـور لا يَـعْـنـى شيـئـاً إلا التـأويـل عند المفسرين القدامى وإن كانوا يفرقون بينهما. يقـول الباحث:" ولا يبالغ الباحثُ إذا ذهب إلى أنَّ تفسير الصحابة أنفسُهم- خاصة ابن عباس الذى نظر إليه على أنه ترجُمان القرآن- لا يتجاوزُ إطار التأويل ." [2] ويؤكد نصر حامد أبو زيد ما يذهب إليه من تسوية بين التفسير والتأويل بأنَّ " هذه التفرقة بين التفسير والتأويل تفرقة اصطلاحية متأخرة ، فالطبرى- مثلا- يسمى تفسيره (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) ، وابن عباس يرى أنه يعلم تأويل القرآن. " [3] ودلالة هذا الاستدلال هى إثباتٌ مِن أبي زيد أنَّه لا فرق بين التفسير والتأويل ، وأنَّ القدامى إنما كانوا يؤوّلون .

لقـد ميَّـز القـدامى التفسـيرَ مـن التـأويـل حسـب وظيفـــةِ كُــلٍّ منهُـما. قـال الزَّركَـشِى:" وقال أبُوالقاسِم بنُ حبيب النيسابورى والبغوى والكواشى وغيْرهم: " التَّأويلُ صَرْفُ الآيَةِ إلىَ مَعْنىً مُوَافِقٍ لِمَا قَبْلَهَا ومَا بَعْدها ، تحْتملهُ الآيَة ، غيْر مُخالفٍ لِلكِتابِ وَالسّنةِ مِنْ طريقِ الاسْتنبَاطِ. " [4] و هذا القول يدلّ على أن العُلمَاء القدامى أكْثَـرهِمْ على أنَّ التفسير ليس هو التأويلُ ، لأنَّ فى التأويل صرفاً للآية ، عن طريق الاستنباط . وقــال الـزركشـــى أيـضاً : " قِيــلَ التفسِيــرُ وَالتَّأويلُ وَاحِــدٌ بحَسَب عُرْفِ الاسْـتِعْمَال، والصَّحِيحُ تغايُرُهُمَا. "[5] وبيَّنَ حدودَ التفسير والتأويل عندهم: " وَقِيلَ التأويلُ كَشْفُ مَا انغلقَ مِنَ المَعْنى، ولِهذا قالَ البجلى: التفسيرُ يتعلَّقُ بالرِّوايةِ، والتَّأويلُ يتعلق بالدِّرايةِ...

[1]- نصر حامد أبو زيد : فلسفة التأويل – دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – ط5 – ص 11 .
[2]- المصدر نفسه ص12 .
[3]- المصدر نفسه ص 13 .
[4]- الزركشي : البرهان في علوم القرآن – دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع - ط3 – 1980 – ج2 ص 150 .
[5]- المصدر السابق- ج2 - ص 149.

قال أبو النضر القشيرى : ويُعْـتبَرُ فِى التَّفسِير الاتِّبَاعُ والسَّمَاعُ ، وإنَّما الاسْتنبَاط فِيمَا يتعلَّقُ بالتأويلِ . " [1] ولعل فى هذه التحديدات ما يبين الفرق بينهما عند القدامى من أهل العلم ، فالتفسير يتعلق بالظاهر وأما التأويل فبما هو خفى ، ولذلك قال الآمدى : " أمَّا التأويلُ مِنْ حَيْثُ هُوَ تأويلٌ مَعَ قـَطْع النظِر عَن الصِّحَّةِ وَالبُطلان : هُو حَمْلُ اللفظِ عَلى غيْر مَدلـُولِهِ الظاهِر مِنـْه مَعَ احْتِمَالٍ لهُ ، وأمَّا التأويلُ المَقبُولُ الصَّحيحُ فهُوَ: حَمْـل اللفظِ على غيْر مَدلـُوله الظاهِر مِنْهُ مَعَ احْتِمَالِهِ لهُ بدلِيلٍ يَعْضُدُهُ . " [2] وإذا كان التأويل هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى محتمل ، فإنَّ " هَذا الصَّرْفَ لا يَقـُومُ عَلى القـَطْعِ بَـلْ يَسِيرُ فِى سَاحَةِ الظنِّ . " [3]

غير أن الأستاذ أبو زيد يدعو إلى إعادة النظر في مفهومي التأويل والتفسير في الخطاب الثقافي العربي والإسلامي داعيا إلى توحيدهما قائلا : " من الأفكار الشائعة المستقرة التي لا يمكن أن نعيد طرحها فكرة التفرقة بين التفسير والتأويل ، وهي تفرقة تعلي من شأن التفسير، وتغض عن قيمة التأويل ، على أساس يقتضي موضوعية الأول ، وذاتية الثاني ، ولعل في ذلك كله ما يسمح لنا بتجاوز التفرقة الاصطلاحية ... ونعود إلى الأصل وهو التوحيد بينهما" [4] .

وقد بدأ التأويل مصطلحا مقبولا في ثقافتنا العربية أول الأمر ، ثم درج العلماء وبعض المتصوفة المسلمون منذ القرن الرابع هجري تقريبا ، أي العاشر ميلادي ، باستثناء الشيعة، وبعض المتصوفة ، على تفضيل مصطلح التفسير على مصطلح التأويل ، فصار شائعا أن التأويل جنوح عن المقاصد والدلالات الموضوعية في القرآن ، ودخول في إثبات عقائد وأفكار " [5] .

---

[1]- المصدر نفسه- ج2 - ص 150.
[2]- الآمدي : الإحكام في أصول الأحكام – دار الكتاب العربي – بيروت – ج3 – ص59 .
[3]- محمد أديب صالح : تفسير النصوص في الفقه الإسلامي – المكتب الإسلامي – بيروت – ط3 – 1984 – ج1 – ص 336 .
[4]- نصر حامد أبو زيد : إشكاليات تأويل القرآن قديما وحديثا – بحث ألقاه في محاضرة في دمشق – 2003 – ونشر ضمن كتابه : التجديد والتأويل والتحريم بين المعرفة العلمية والخوف من التكفير – المركز الثقافي العربي – بيروت – الدار البيضاء – 2010 .
[5]- المصدر نفسه ص56 .

غير أن التأويل تعرض مبكرا إلى معضلة على المستوى النظري في التعامل مع التراث الديني ، فعلاقة المفسر مع النص أخذت اتجاهين يمثل كل منهما زاوية مختلفة في النظر إلى علاقة المفسر بالنص :

- الاتجاه الأول التفسير بالمأثور : ويهدف إلى الوصول إلى معنى النص عن طريق تجميع الأدلة التاريخية واللغوية ، التي تساعد على فهم النص فهما موضوعيا ، وهذا الاتجاه التاريخي الموضوعي بتجاهل المفسر ، ويلغي وجوده لحساب النص وحقائقه التاريخية .
- الاتجاه الثاني : التفسير بالرأي أو ما يسمى بالتأويل ، وقد نظر إليه علي أساس أنه تفسير غير موضوعي ، لأن المفسر يبدأ من موقفه الراهن ، محاولا أن يجد فيه سندا لموقفه ، ويؤكد حضور المفسر عقلا وشخصية في التعامل مع النص .

وقد تباين الموقف التاريخي من كلا الاتجاهين بين وصف الأول بأنه اتجاه أهل السنة والسلف الصالح ، ويمثل الاتجاه الرسمي الأكثر انتشارا واستحواذا على الخطاب الديني ، وتشكيلا للعقل المسلم ، والثاني يوصف بأنه اتجاه الفلاسفة والمعتزلة ، والشيعة والمتصوفة، وقد تعرض هذا الأخير دوما للاتهام والازدراء على يد أصحاب الاتجاه الأول ، " وإن كان هذا التقسيم من منظور الأستاذ نصر حامد أبو زيد – ويؤكده واقع الدراسات – لايحظى بتمايز تطبيقي على غرار تمايزه النظري ، فلم تخل كتب المفسرين القدماء من بعض الاجتهادات التأويلية المتمثلة في " استنباط دلالة التراكيب ، بما تتضمنه من حذف ، وإضمار ، وتقديم وتأخير، وكناية ، واستعارة ، ومجاز " ولم تتجاهل كتب التفسير بالرأي أو التأويل للحقائق التاريخية واللغوية المتصلة بالنص ." [1]

وقد انحازت تأويلية نصر حامد أبو زيد إلى أصحاب الاتجاه الثاني ، مشيرا إلى المعضلة الحقيقية في التفسير القرآني ، التي تجاهلها دعاة الاتجاه الأول ، أنه لا يمكن الوصول إلى

[1]- عبد الباسط سلامة هيكل : الجذور التراثية لتأويلية نصر أبو زيد . مؤسسة مؤمنون بلاحدود – 2015 .

المعنى الموضوعي للنص القرآني ، فليس في مقدور البشر الوصول إلى القصد الإلهي في كماله وإطلاقه . " [1]

و ينطلق الأستاذ نصر حامد أبو زيد دائما من موقف التساؤل ، والمراجعة ، وتحيين القراءة قصد الوصول إلى قراءة إنتاجية ، تبعد العقل عن التقليد والعجز في الرؤية ، والتجزء في النظرية وفي هذا يقول نصر حامد أبو زيد : " فموقف التساؤل المستمر والمراجعة الدائمة، قادر دائما على تصحيح الأخطاء ، والتقدم نحو مزيد من الاجتهاد ، هكذا تصبح القراءة فعلا مستمرا لا يتوقف يبدأ من الحاضر والراهن ، وينطلق إلى الماضي والتراث ، ثم يرتد إلى الحاضر مرة أخرى ، في حركة لا تهدأ ، ولا يقر لها قرار . لكنها الحركة التي تؤكد الحياة ، وتنفي سكون الموت . إنها حركة الوجود والمعرفة في الوقت نفسه " [2] .

وموقف التساؤل المستمر له صدى عند عبد القاهر الجرجاني ، إذ أنه يبدأ صوغ قضيته ، ومناقشة فكرته ، بطرح سؤال ينطلق منه ... ففي قضية إعجاز القرآن التي كانت تمثل شغله الشاغل ، كان لا يقنع بآراء السابقين في القول بالإعجاز دون ذكر الحجة ، وبيان العلة ، فكان يتناول القضية من خلال سؤال ينطلق منه مفاده : ما الذي يميز كلاما من كلام ؟ وما الصفة الباهرة ، التي بهتت العرب في النص القرآني ، فأحسوا بالعجز إزاءه ، على الرغم من فصاحتهم وقدرتهم البيانية فيقول الجرجاني: " هل سمع قط بذي عقل ومسكة استطاع أن يخرس خصما له قد اشتط في دعواه ، بكلمة يجيبه بها ، فترك ذلك إلى أمور يسفه فيها، وينسب معها إلى ضيق الذرع والعجز ؟ هل عرف في مجرى العادات ، وفي دواعي النفوس ، ومبنى الطبائع ، أن يدع الرجل ذو اللب حجته على خصمه ، فلا يذكرها ، ولا يفصح بها "[3] .

---

[1]- نصر حامد أبو زيد : بحث اشكالية تأويل القرآن قديما وحديثا – ص3 .
[2]- المصدر السابق ص 5 - 6 .
[3]-عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز – تحقيق محمود شاكر – دار المدني – جدة – ط3 – 1992 – ج 1 – ص 580 – 581 .

ويذم نصر حامد أبو زيد منطق (اللا تعليل) ، فهو لا يكتفي بالأقوال المرسلة ، ويحرص على التفصيل في معرفة الخصائص ، فالاختزال من آفات الخطاب الديني ، وإحدى إشكاليات تحليل النصوص التراثية ، فيقول : " فاختزال الفكرة في كلمة يحول المعرفة إلى كبسولات تغني عن الدخول في التفاصيل استمرارا لعصر التلخيصات ، التي كانت إيذانا بأفول عصر التقدم والازدهار في تاريخ المسلمين " [1] .

ويذكرنا رأي الأستاذ نصر حامد أبو زيد بعبارة للشيخ محمد الغزالي في نقد الحالة الثقافية لعصور التخلف بقوله : " أصبح علم الأصول نفسه ذلك المنهج العظيم – على يد المتأخرين – علما مضحكا ،لأنه أصبح كالآتي : الخلاصة ، التلخيص ، الملخص ، المتن ، الشرح ، الحاشية ... كأننا نطحن الماء فلا يزيد ولا ينقص " [2] .

غير أن الغزالي اقتصر في نقد الظاهرة على المتأخرين ، ولم يبحث في علتها . أما نصر حامد أبو زيد فقد ناقش نتاج مدرسة الأصوليين ، وخطر التسليم المطلق لنتاج إمامها على جمود العقل المسلم ، متجاوزا التوصيف الإنشائي الذمي للظاهرة إلى تفصيل أسبابها، وطرق إصلاحها " [3] .

يؤمن نصر حامد أبو زيد بتعدد المستويات الدلالية للنص ، المعنى الظاهر في النص ، والمغزى الكامن فيه ، لذا حث نصر القارئ على قاعدتين في قراءة التراث : " الأولى : اكتشاف دلالات النص التراثي في سياقها التاريخي الثقافي الفكري ، والثانية : محاولة الوصول إلى (المغزى) فاكتشاف الدلالة ، والوصول إلى المغزى ، إحدى إشكاليات القراءة، التي تحاول تأويلية نصر التغلب عليها " [4] .

ونجد المعنى نفسه عند عبد القاهر الجرجاني – في حدود الثقافة السائدة آنذاك – حيث يميز في النص بين معنى هو ظاهر النص من محصلة علاقاته السياقية ، ومعنى المعنى ، وهو باطن النص فيقول عبد القاهر الجرجاني : " فالمعاني الأولى المفهومة من أنفس الألفاظ

[1]- نصر حامد أبو زيد : بالتفكير في زمن التكفير ضد الجهل والزيف والخرافة – مكتبة مدبولي - القاهرة – ط2 – 1995 – ص 85 – 86 .
[2]- محمد الغزالي : كيف نتعامل مع القرآن - دار النهضة – مصر - ط 13 – 2012 - ص 36.
[3]- نصر حامد أبو زيد : الإمام الشافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطية – مكتبة مدبولي - القاهرة – 1996 .
[4]- نصر حامد أبو زيد : إشكاليات القراءة وآليات التأويل – ص 6 – 7 .

هي المعارض ، والوشي ، والحلي ، وأشباه ذلك ، والمعاني الثواني ، التي يومأ إليها بتلك المعاني هي التي تكسى تلك المعارض ، وتزين بذلك الوشي والحلي ، وذلك إذا جعلوا المعنى يتصور من أجل اللفظ بصورة ، ويبدو في هيئة ، ويتشكل بشكل يرجع المعنى في ذلك كله إلى الدلالات المعنوية ولا يصلح شيء منه ، حيث الكلام على ظاهره ، وحيث لا يكون كناية وتمثيل به ولا استعارة ، ولا استعانة في الجملة بمعنى على معنى . وتكون الدلالة على الغرض من مجرد اللفظ ، فلو أن قائلا قال : رأيت الأسد ، وقال آخر : لقيت الليث ، لم يجز أن يقال في الثاني : إنه صور المعنى في غير صورته الأولى ، ولا أن يقال: أبرزه في معرض سوى معرضه ، ولا شيئا من هذا الجنس . وجملة الأمر أن صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ إلى لفظ ، حتى يكون هناك اتساع ومجاز ، وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة ، ولكن يشار بمعانيها إلى معان أخر " [1] .

ويسعى نصر حامد أبو زيد إلى تحرير قراءة التراث من أي سلطة مسبقة للنص على القارئ ، فمبدأ تحكم النص ، أو بعبارة أصح تحكم فهم خاص لفئة معينة للنص ، يسجن العقل ، و يسلب الإنسان أبرز خصائصه التي ألح عليها القرآن في قوله تعالى " لعلهم يتذكرون " ، فينتهي الخطاب – على حسب رأي أبي زيد – في دعوته للتسليم المطلق إلى التعارض مع الإسلام في أهم أساسياته ، وهي الدعوة إلى التفكر ، وإعمال العقل .

وهذا ما دفع نصر حامد أبو زيد إلى إعادة اكتشاف دلالة مصطلح النص في دراسته (مفهوم النص) ، موضحا أن بعض المرددين شعار (لا اجتهاد فيما فيه نص) يقومون بعملية خداع إيديولوجي ، لأن النص الذي لا اجتهاد معه هو النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة، وهذا ما لا نتحدث عنه ، بل نتحدث عن نصوص غير قطعية الدلالة ، وهي أكثر النصوص مما يحتمل التأويل والاجتهاد ، وقد قدم بعضهم فهمهم لها على أنه هو النص ، فتلاشت المسافة بينه وبين النص ، ولا يختلف نصر في مناقشته مقولة (لا اجتهاد مع النص) ، عن

[1]- دلائل الإعجاز – ج1 - ص 205.

طرح الدكتور محمد أبو زهرة وشرحه لها في كتابه (تاريخ المذاهب) موضحا أثر تلك الحالة من الخلط في تأجيج الخطاب المتطرف لجماعات الخوارج [1] .

ويتبع تحرير قراءة التراث من أي سلطة مسبقة للنص على القارئ ، إسقاط القداسة عن أي طرح بشري ليس له عصمة تمنع عنه النقد ، والنظر، والمراجعة ، والتقييم ، فتعامل نصر حامد أبو زيد مع قراءة التراث ينطلق مع إعمال العقل و الارتكاز على الفهم و الاستنباط ، فيسيطر على خطابه اتجاه نقدي لا يرى للتراث قداسة بوصفه فكرا بشريا حول الدين ، لذلك يدرس التاريخ دراسة نقدية ، وهذا ما فعله من قبل ابن خلدون ، ويدرس تاريخ الفرق الإسلامية ، والاتجاهات الفقهية ، والكلامية ، والفلسفية من المنظور النقدي ، وهذا ما تناوله نصر بشيء من التفصيل في كتابه (نقد الخطاب الديني) ، حول ضرورة الفصل والتمييز بين الدين والفكر الديني ، الذي لا يكتسب من الدين قداسته ، ولا إطلاقه ، يقول أبو زيد : " فمنذ اللحظات الأولى في التاريخ الإسلامي ، وخلال فترة الوحي ، وتشكل النصوص ، كان ثمة مجالات أخرى تخضع لفاعلية العقل البشري والخبرة الإنسانية ، ولا تتعلق بها فعالية النصوص ، وكان المسلمون الأوائل كثيرا ما يسألون إزاء موقف بعينه إذا كان ، تصرف النبي صلى الله عليه وسلم محكوما بالوحي ، أو محكوما بالخبرة والعقل ، وكثيرا ما كانوا يختلفون معه ، ويقترحون تصرفا آخر إذا كان المجال من مجالات العقل والخبرة " [2] .

[1]- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد – دار الفكر العربي – القاهرة – 1996 - ص 65 – 70 .
[2]- نصر حامد أبو زيد : نقد الخطاب الديني – الفصل الأول : الخطاب الديني المعاصر آلياته ومنطلقاته الفكرية – دار سينا – القاهرة - ط1 ص88 .

الخاتمة

استنتاجات نقدية :

بعد دراستنا للباحث السابقة للنص والتأويل تبين لنا مايلي :

1 – التأويل موضوع شائك فهو يدور بين الموضوعية أحيانا والذاتية أحيانا أخرى .

2 - الأبحاث حول التأويلية كثيرة ألقت بظلالها على البحث العلمي منهم نصر حامد أبو زيد الذي أثار بدوره جدلا واسعا .

3- العقل هو المحرك الأساس في العملية التأويلية ، وهذا المشروع – كما يبدو لي – تعود إرهاصاته إلى زمن ابن رشد وربما إلى زمن المعتزلة .

4- للتأويل علاقة بين المعنى والمغزى ، النص والمقصد ، فالأمور بمقاصدها والعقول بمداركها .

5 - التأويل له علاقة وطيدة بالخطاب الديني في جميع الديانات قديما وحديثا ، كما وظف لأغراض منذ عصور في الخطاب السياسي .

2- التأويل أصبح نظرية في الفهم سواء تعلق الأمر بالعلوم الإنسانية أو العلوم الدينية على وجه الخصوص .

3- التأويل الملتزم بالضوابط البعيد عن الأهواء لا يتعارض مع الدين و لا يذمه الدين .

4- ضرورة التأكيد على الأصول الموجودة في التأويل ، والمتصلة بالقرآن الكريم ثم بالتراث العربي الإسلامي. (وقد أشار إليها الجابري في كتابه مدخل إلى القرآن الكريم الجزء الأول) .

10- أكبر مشكلة تواجه النص هي مشكلة القراءة و الفهم ، فقد تعطى للنص الواحد مفاهيم وقراءات متعددة ، إن لم تضبط بضوابط علمية .

11- المفاهيم تتباين تباينا واضحا كلما تعلق الأمر بالدين وقضايا المجتمع (صراع المفاهيم) .

12- نصر حامد أبو زيد من أهم النماذج النقدية التي غامرت في حفر الموروث الثقافي العربي الإسلامي المتصل بالقرآن الكريم ، وذلك في محاولة منه لبعث الرؤية الداعية إلى فتح القراءة والتفسير على أساس التعدد والاختلاف .

13- التأويل سلاح إيديولوجي خطير قد يستخدم آنيا كحيلة ظرفية من أجل تمرير خطابات ومشاريع .

14- استطاع خطاب نصر حامد أبو زيد أن يطرح أسئلة جريئة لا يزال بعضها يشكل عقبة في عرف الفكر الإسلامي عموما ، كما نجح هذا الخطاب في تفكيك آليات الخطاب الديني التراثي (المعتزلي ، الصوفي ...) ، والحديث النهضوي المعاصر بمختلف اتجهاته المتشددة والمعتدلة ، واليسارية الإسلامية ، كما تمكن من زحزحة الرؤية المتافيزيقية المنسوجة حول الشخصيات أو النصوص الدينية الشارحة (كتب التفسير) وهذا مصداقا لقول أبو حنيفة في حثه على عدم التعامل مع اجتهادات السلف على أنها وحي منزل : " هم رجال ونحن رجال أيضا " .

15- يعتبر تحليل نصر حامد أبو زيد لإشكالية النص والتأويل ممارسة لا تخلو من إشكالات واستفهامات (فقد واجهت انتقادات أثناء حياته وبعد مماته) – ومع ذلك – فقد عمل الباحث وبذل وسعه من أجل تجاوزها فكريا .

16- إن ممارسة نقد الخطاب الديني أو بالأحرى " نقد العقل الديني " ممارسة تمهد لما يمكن أن يكون ثورة في الفكر الإسلامي ، بعد تلك التي أحدثها ناقد العقل ايمانويل كانط في الفكر الغربي .

17- خطاب نصر حامد أبو زيد خطاب ناقد ولكن لا يخلو أن يكون منقودا هو الآخر ، كونه – كأي خطاب آخر - ينطوي على ما هو مسكوت عنه ومضمر بداخله ، فهناك (من دون شك) عوامل سوسيو- ثقافية وقواعد خلفية مسؤولة عن تحديد معالم رؤيته النقدية.

18- وفي الأخير يمكن القول بأن أغلب قضايا وإشكاليات الفكر العربي المعاصر تنتظم بشكل أو بآخر في عبارة " قراءة التراث العربي الإسلامي " لأن هذا القسم من التراث ركيزة محورية في الثقافة العربية الإسلامية عامة . ولكن محاولة تحيين هذه القراءة من جديد قد تصنع المفارقة والصدام بين نسيج المجتمع الإسلامي .

وهكذا حدثت الصدمة إثر محاولة نصر حامد أبو زيد تطبيق قراءته على التراث ، وعلى آليات الخطاب الديني بالخصوص ، ومن قبله طه حسين وعلي عبد الرزاق . فهل يمكن أن يكون تحديث العقل الإسلامي مرهونا بصدمة الفكر ؟ أليست الحداثة – في مفهومها العملي- فعلا نقديا تجاوزيا لوعي الصدمة وثمرة من ثمار القطيعة مع الرؤية التقليدية للذات ومحصلة الانفتاح الواعي على عقلانيات وإرث وأدوات الآخر؟ ألم تحدث آراء " مارتن لوثر" التنويرية صدمة في العقل المسيحي الأوروبية انبثقت على إثرها الحضاة الغربية من جديد ؟ وهل سيأتي اليوم الذي يحول فيه العقل الإسلامي واقعه بفعل" صدمة فكرية " إلى مشروع حداثة ما ؟ وما هي حظوظ نجاحه وإخفاقه في ذلك ؟ لعل الإجابة عن ذلك سيعبد الطريق – مستقبلا – لدراسات قد تكون أكثر عمقا وأنضج وعيا بأبجديات النقد والمساءلة ، لعل ما سبق من الدراسات - بمختلف توجهاتها الفكرية والإيديولوجية - هي مجرد إرهاصات لفكر أكثر تفتحا ووعيا للنهوض بواقع الأمة .

فهارس

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

قائمة المصادر :

1* نصر حامد أبو زيد - نقد الخطاب الديني – سينا للنشر- مصر – ط الثانية1994.

2* نصر حامد أبو زيد - إشكـاليات القراءة وآليات التأويل - المركز الثقافي العربي - الطبعة الرابعة – 1996 .

3* نصر حامد أبو زيد : الخطاب والتأويل - المركز الثقافي – الدار البيضاء – المغرب الأقصى – ط1 – 2000 م .

4* نصر حامد أبو زيد - مفهوم النص – دراسة في علوم القرآن - المركز الثقافي العربي – 1991 .

5* نصر حامد أبو زيد : إشكاليات تأويل القرآن قديما وحديثا – بحث ألقاه في محاضرة في دمشق – 2003 – ونشر ضمن كتابه : التجديد والتأويل والتحريم بين المعرفة العلمية والخوف من التكفير – المركز الثقافي العربي – بيروت – الدار البيضاء – 2010 .

6* نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص- الهيئة المصرية للكتاب – 1990 .

7* نصر حامد أبو زيد : الإمام الشافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطية - مكتبة مدبولي - ط 2 (منقحة) - القاهرة مصر – 1996

8 * نصر حامد أبو زيد : بالتفكير في زمن التكفير ضد الجهل والزيف والخرافة – مكتبة مدبولي - القاهرة – ط2 – 1995 .

9* نصر حامد أبو زيد : فلسفة التأويل – دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – ط5 .

10* نصر حامد أبو زيد : نقد الخطاب الديني – المركز الثقافي العربي - ط 3 – الدار البيضاء المغرب – 2007 .

قائمة المراجع :

1* ابن منظور : لسان العرب - دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- ط3 ، 1993 – ج 11 ص 33

2* ابن قتيبة : تـأويل مشكل القرآن – دار التراث – القاهرة – ط2 -1973.

3* أبو العباس أحمد بن تيمية : مجموع الفتاوى – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية – 2004 -ج4

4* أبو محمد يوسف ابن الحافظ أبي الفرج بن الجوزي – الإيضاح لقوانين الإصلاح – مكتبة مدبولي – مصر – 1995.

5* أحمد الريسوني : في حدود فتح النص للتأويل وشروطه – محاورة مع الدكتور – مجلة المنطلق – العدد 9 – 2009 .

6* أحمد العلمي : في أسس الحداثة - سبينوز و تأويل النصوص المقدسة -مجلة مقدمات- ع19..2004

7* أحمد رضا : معجم متن اللغة – منشورات دار مكتبة الحياة بيروت – لبنان – 1380 ، 1960 .

8* أحمد معتصم السيد :الهيرمنيوطيقا في الواقع الإسلاميين حقائق النص ونسبية المعرفة – دار الهدى بيروت الطبعة الأولى 2009 .

9* الزركشي : البرهان في علوم القرآن – دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع - ط3 – 1980 – ج2 .

10* السيد أحمد عبد الغفار : التصوير اللغوي عند الأصوليين – مكتبات عكاظ للنشر الإسكندرية ط1 1401، 1981 .

11* الشريف الرضي : حقائق التأويل في متشابه التنزيل – دار المهاجر – بيروت لبنان .

12* القاضي عبد الجبار : متشابه القرآن – دار التراث – القاهرة 1969 .

13* القاموس الموسوعي الجديد في علوم اللغة .

14* الآمدي - الإحكام في أصول الأحكام – دار الصميعي - المملكة العربية السعودية - ج3 – 2003 .

15* جميل صليبا : المعجم الفلسفي – الشركة العالمية للكتاب – بيروت لبنان – 1994 .

16* حامد ناصر الظالمي : اسبينوزا وأثره في منهجية تحقيق النصوص عند المحدثين – مجلة أبحاث البصرة – ع 28 – ج 1 – 2001 .

17* حيرش بغداد : " نصر حامد أبو زيد ، المشروع التثويري المجهض " كتابات معاصرة – مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية - مجلد 17 – ع68 -2008 .

18* دحامنية مليكة : هيرمنيوطيقا النص أو فلسفة تأويل النصوص - محاولة لتحديد المصطلح – المركز الجامعي البويرة – بحث على النت.

19* رقية جابر العلواني : قراءة في ضوابط التأويل وأبعادها المنهجية في الدراسات القرآنية المعاصرة ، موقع الدكتورة .

20* رقية جابر العلواني : أثر الظرفية التاريخية والفكرية في ظهور القرءانيين الجدد - جامعة الشارقة 2005. موقع الدكتورة .

21* رقية جابر العلواني : إبراز الخلفيات التاريخية لنشأة حركة نقد النصوص الدينية - جامعة الشارقة 2005 موقع الدكتورة .

22* سناء عبد الرحيم : السياق القرآني في تفسير الزمخشري - مجلة أفاق الإماراتية - السنة 21.العدد:81 – مارس 2013.

23* شرفي عبد الكريم: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ط 1 الدار العربية، بيروت لبنان 2007.

24* صلاح قنصوة :الموضوعية في العلوم الإنسانية- عرض نقدي لمناهج البحث - دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع 2007 .

25* عادل فاخوري:تيارات في السيمياء دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت - لبنان – ط1 – 1990 .

26* عادل مصطفى : فهم الفهم – مدخل إلى الهيرمنيوطيقا – بيروت – دار النهضة العربية – ط1 -2003 .

27* عادل سعيد توفيق: في ماهية اللغة و فلسفة التأويل، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، 2002

28* عبد الرحمان بودلال : الاتجاه الهرمنيوطيقي وأثره في الدراسات القرءانية: - بحث مقدم لندوة القراءات الجديدة للقرءان الكريم -كلية الآداب وجدة – 2008 .

29* عبد الباسط سلامة هيكل : الجذور التراثية لتأويلية نصر أبو زيد . مؤسسة مؤمنون بلاحدود – 2015 .

30* عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز – تحقيق محمود شاكر – دار المدني – جدة – ط3 -– ج 1 – 1992 .

31* عبد القاهر الجرجاني : التعريفات – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت لبنان – 2006 .

32* عبد المالك مرتاض : التأويلية بين المقدس والمدنس. مجلة عالم الفكر- بيروت لبنان - مجلد :33. ع:1-2000 - ع2 -2004 .

33* علي حرب : أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر (مقاربات نقدية وسجالية) – دار الطليعة – بيروت – ط1 – 1994 - .

34* علي شنوفي : الدواعي الأولى للتأويل : الأزمات السلطوية – المجلة التونسية للدرسات الفلسفية – العدد الرابع – جوان 1985.

35* فاضل ثامر : في إشكالية المنهج و النظرية و المصطلح في الخطاب النقدي العربي - المركز الثقافي العربي - المغرب - 1994 .

36* فؤاد بوعلي – الأسس المنهجية للقراءة الحداثية للنص القرآني : محاولة في التفكيك والتأسيس – مجلة التسامح – العدد24 – 2008 .

37* قنديل عبد الرازق- الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي- دار الثراث- القاهرة- 1984م - .

38* لمرزوق العمري إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحداثي الغربي المعاصر - دار الأمان –الطبعة الأولى2012 –.

40* محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد – دار الفكر العربي – القاهرة – 1996 .

41* محمد أديب صالح : تفسير النصوص في الفقه الإسلامي – المكتب الإسلامي – بيروت – ط3 – 1984 – ج1 .

42* محمد الغزالي : كيف نتعامل مع القرآن - دار النهضة – مصر - ط 13 – 2012

43* محمد المقرن : في مفهومي القراءة والتأويل – مجلة عالم الفكر.

44* محمد شوقي الزين : مفتاح التأويل في قراءة التراث الإنساني – مجلة فكر ونقد – السنة الثالثة – العدد 28 أبريل 2000 .

45* محمد محفوظ :الفكر الإسلامي المعاصر و رهانات المستقبل- الطبعة الأولى- المركز الثقافي- العربي- بيروت-1999 .

46* محمد محمود ربيع : أسرار التأويل – الهيئة المصرية العامة للكتب - مصر – 1993.

47* محمود توفيق محمد سعد : دلالة الألفاظ عند الأصوليين .

48* مجلة فكر ونقد : العدد25 – جانفي 2000 – .

49* محمد شوقي الزين –كلافيس هيرمنيوطيقا مفتاح التأويل في قراءة التراث الإنساني

50* ياسين عبد الجواد : السلطة في الإسلام – العقل السلفي بين النص والتاريخ – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – ط2 – 2000م - ص 13 .

51* يوسف القرضاوي : من محاذير التفسير : سوء التأويل ، مجلة إسلامية المعرفة العدد 8 - إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي – 2008 .

المراجع الأجنبية :

1* ايسدور ابشتاين، الحركات الحديثة في اليهودية، ترجمة عرفان عبد الحميد وهو جزء من كتابه اليهودية، عرض تاريخي، دار البيارق، ط1، 1997م .

2* جيل كيبل : يوم الله - ترجمة حسين مروة - دار قرطبة - ط1، 1992 .

3* ديفيد باكان ، فرويد والتراث الصوفي يهودي ، لمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - 1988 .

4* قاموس المفاهيم الفلسفية :Dictionnnaire des notion philosophiques

5* Dilthey Whelheilm: Critique la raison historique, introduction à l’étude aux sciences de l’esprit

6 * Vérité et méthode des grandes lignes dune herméneutique - philosophique- traduction française . éditions de seuil.1996 .p411. Hans Georg Gardner

7* – française – tome quatre – librairie Larousse – canada – 1975 Le grand Larousse de la langue p2765 .

André Lalande –VOCABULAIRE Technique de la philosophie , *8
presses universitaires de France , parieb2eme édition , 1976, p 412

فهرس الموضوعــات

الموضوع **رقم الصفحة**

مقدمــة.....أ
عنوان البحث..... ب
أسباب اختيار الموضوع..... ت
أهمية الموضوع..... ت
أهداف الموضوع..... ج
إشكالية البحث..... ح
صعوبات البحث..... خ
الدراسات السابقة.....د
منهج البحث..... د
خطة البحث..... د
الفصل الأول:مدخل عام 01
المبحث الأول : مدخل مفاهيمي للتأويل
توطئة..... .....02.....
مفهوم التأويل.....03
التأويل لغة.....04
التأويل اصطلاحا 05

الفهم

الفهم لغة.....08

الفهم عند شلايرماخر و دلتاي.....09

الفهم عند هايدغر.....10

الفهم عند غادامير وأقسامه.....11

الهيرمنيوطيقا

أصل كلمة الهيرمنيوطيقا.....12

علاقة الهيرمنيوطيقا بالتأويل.....12

علاقة الهيرمنيوطيقا بالفه..... 13

ضوابط التأويل.....15

أ- الفرضية..... 15

ب- المقصدية.....16

ج - السياق.....17

المبحث الثاني :النص الديني

مفهوم النص 20

النص لغة 20

النص عند الأصوليين.....21

علاقة التعريف اللغوي بالذي عند الأصوليين.....22

أنواع النص المقدس.....23

القراءة التأويلية للنص المقدس.....24

أهمية القراءة التأويلية.....25

اسبينوزا ونقد الكتاب المقدس.....27

القراءة الحداثية للنص المقدس 28

الفصل الثاني : تاريخية التأويل

المبحث الأول : التأويل في العهد القديم.....31

في الفكر اليوناني 32

في الفكر اليهودي.....33

أ – فيلون والتأويل.....35

ب – التأويل عند الحسيدية.....36

التأويل في الفكر المسيحي.....37

الدافع من ظهور القراءة التأويلية.....39

المبحث الثاني :الإسلام ومشكلة التأويل.....44

أصول الرؤية التأويلية في الإسلام.....46

الحداثيون وتأويلية النص القرآني.....49

أهم القراءات الحداثية.....50

رأي الدكتور أحمد الريسوني في القراءة التأويلي.....52

الفصل الثالث: نصر حامد أبو زيد والتأويل.....53

المبحث الأول : مفهوم النص عند نصر حامد.....54

المفهوم التقليدي للنص عند العلماء قديما.....55

نظرة نصر حامد إلى النص القرآني 56

أبو زيد التحليل اللغوي.....57

المعضلات التي يطرحها أبو زيد لمفهوم النص.....59

تمييز نصر بين مصدر النص وطبيعته.....60

المبحث الثاني : تأويل النص عند نصر حامد وتاريخيته.....63

نصر حامد والهيرمنيوطيقا **.....64**

تأويل النص عند نصر حامد أبو زيد.....64

تسوية نصر بين التأويل والتفسير.....65

رأي العلماء قديما في التفريق بين التأويل والتفسير.....66

أ - رأي الزركشي.....66

ب- القشيري و الآمدي.....67

دعوة أبو زيد للتوحيد بين المصطلحين.....67

منهج أبو زيد في القراءة وموافقته للجرجاني.....70

أبو زيد ومنطق اللاتعليل 71

تعدد المستويات الدلالية عند نصر حامد والجرجاني.....72

تحرير القراءة التراثية عند نصر حامد.....73

الخاتمة

استنتاجات نقدية.....77

فهرس المصادر والمراجع 84

فهرس الموضوعات 92